عصمة الأنبياء في القرآن الكريم
شبهات وردود

إعـــداد

د/ وجيــه محمود أحمد

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة أسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على الصادق الأمين ،وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ،الطيبين الطاهرين المعصومين ،وعلى كل من اقتدى بهديهم وسار على دربهم إلى يوم الدين

وبعد .

فلا يتم إسلام المرء ولا يكمل إيمانه حتى يؤمن بعامة الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله تعالى لتبليغ شرعه ونشر دعوته ، دون أن يفرق بينهم ،يقول سبحانه {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وملائكته وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }البقرة٢٨٥

وكما يؤمن المسلم بالأنبياء جميعا ،فإنه يؤمن كذلك بأنهم معصومون بتوفيق الله لهم وبعصمته إياهم عن الوقوع فيما لا يليق بهم ولا يناسب مقامهم ، فالأنبياء عليهم السلام هم صفوة البشر ومثلهم الأعلى وقدوتهم في حياتهم وأسوتهم بعد مماتهم ، هم أشرف الخلق وأكرمهم على الله وأزكاهم عنده وأتقاهم له ، وهم كذلك أهل الصدق والأمانة والفطانة، تحقق فيهم النموذج الكامل للبشرية باصطفاء الله لهم وتوجيههم إلى مكارم الأخلاق وجلائل الأعمال مما أوجب على الخلق اتباعهم والتأسي بهم .

غير أن الناظر في آيات القرآن تستوقفه طائفة من الآيات التي يوهم ظاهرها قدحا في عصمة الأنبياء ، وتدل النظرة السريعة على النيل من مكانتهم ،مما جعل المفسرين يتصدون لهذه الآيات مبينين المعنى الصحيح لها ومدافعين عن صفوة الله في خلقه مثبتين العصمة لهم في عقيدتهم وأعمالهم .

وهذه الآيات منها ما يوهم بالقدح في عصمة الأنبياء بوجه عام وهو قليل ،ومنها ما يفهم من ظاهرها عدم عصمة الأنبياء على وجه الخصوص وهو الأكثر

ونحاول في هذه الصفحات أن نعيش مع هذه الآيات في رياض التفاسير واجتهادات المفسرين في الدفاع عن أنبياء الله ودحضهم للافتراءات الكاذبة التي تنسب إليهم ما لا يليق بمقامهم .

وقد دفعني إلى هذه الدراسة أمور منها :

- ما يؤلمني ويؤلم كل مسلم من تطاول سافر وتهجم حاقد على مقام النبي وجنابه الأسمى
- رغبة قوية في معايشة القرآن الكريم وتلمس أنواره وأسراره
- بيان مكانة الأنبياء والمرسلين ،ونزاهتهم عن المعاصي والذنوب التي لطخهم بها أرباب الكتب المحرفة
- عدم وجود كتاب مستقل بعصمة الأنبياء اللهم إلا ما يذكر في كتب العقائد والنبوات .

وقبل معايشة هذه الآيات وأقوال المفسرين فيها نمهد بحديث موجز عن بعض المسائل المتعلقة بعصمة الأنبياء وهي :

- معنى العصمة لغة واصطلاحا .
- درجات العصمة .
- أدلة عصمة الأنبياء .
- الحكمة من عصمة الأنبياء .

تمهيد

أولا :معنى العصمة لغة واصطلاحا

العصمة في اللغة :

يقول صاحب تاج العروس : والعصمة بالكسر المنع ، هذا أصل معنى اللغة ويقال أصل العصمة الربط ثم صارت بمعنى المنع وعصمة الله عبده أن يعصمه مما يوبقه ، عصمه يعصمه عصما منعه ووقاه وقوله تعالى " يعصمني من الماء " أي يمنعني من تغريق الماء، ولا عاصم اليوم من أمر الله أي لا مانع ...وقال الزجاج : أصل العصمة الحبل وكل ما أمسك شيئا فقد عصمه ، وقال محمد بن نشوان الحميري :أصل العصمة السبب والحبل " .[1]

وفي لسان العرب " العِصْمة في كلام العرب المَنْعُ وعِصْمةُ الله عَبْدَه أن يَعْصِمَه مما يُوبِقُه عَصَمه يَعْصِمُه عَصْماً منَعَه ووَقَاه...والعَصْمة الحِفْظ يقال عَصَمْتُه فانْعَصَمَ واعْتَصَمْتُ بالله إذا امتنعْتَ بلُطْفِه من المَعْصِية وعَصَمه الطعامُ منَعه من الجوع ...والعِصْمةُ القِلادةُ والجمعُ عِصَمٌ وجمعُ الجمعِ أَعْصام .. " .[2]

فمن هذين النصين يتبين لنا أن معاني العصمة في اللغة تدور حول المنع والحفظ والوقاية.

أما العصمة في الشريعة

فقد عرفها العلماء تعريفات كثيرة يمكن أن نجمع بينها في القول بأن عصمة الأنبياء هي حفظ الله تعالى لأنبيائه بما حباهم الله من كمال الخلق والخلق والتوفيق في الأقوال والأعمال .

---

[1] تاج العروس للزبيدي مادة عصم ١٠٠/٣٣

[2] لسان العرب لابن منظور مادة عصم ٢٤٤/٩

يقول الأصفهاني :عصمة الله الأنبياء حفظه إياهم أولا بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وبتثبت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق .[٣]

ومن خلال تعريف العصمة يمكننا أن نقف على أركانها التي تؤدي إلى تحققها في المعصوم ،وهي ثلاثة :

الأول :استعداد نفسي وتهيئة داخلية لدى المعصوم لعمل البر والطاعات وترك الفجور والمخالفات

الثاني :تتابع نزول الوحي عليه لمساندته وتثبيته وحمايته من الوقوع في الزلل .

الثالث :تنبيهه على أخطائه الناتجة عن اجتهاده البشري والتي لا تتعلق بالرسالة والتبليغ فلا يعود إلى مثلها .

ثانيا :الحكمة من العصمة

تتجلى الحكمة من عصمة الأنبياء في اصطفاء الله لهم وجعلهم القدوة والأسوة والمثل الأعلى لأممهم ، ومن ثم فقد وجب أن تكون جميع أعمالهم وأقوالهم موافقة لطاعة الله تعالى ،لا يشوبها شيء من المعاصي والمخالفات.

يقول الأستاذ عبد الرحمن الميداني : وحيث ثبت أن الرسول هو المثل الأعلى في أمته ، الذي يجب الاقتداء به في اعتقاداته ، وأفعاله ،وأقواله، وأخلاقه، إذ هو الأسوة الحسنة بشهادة الله له –إلا ما كان من خصائصه بالنص – وجب أن تكون كل اعتقاداته، وأفعاله،وأقواله ، وأخلاقه الاختيارية بعد الرسالة موافقة لطاعة الله تعالى ووجب ألا يدخل في شيء من اعتقاداته ، وأفعاله ،وأقواله، وأخلاقه معصية لله تعالى ،لأن الله تعالى أمر الأمة بالاقتداء برسلهم ،فإذا أمكن أن يفعل الرسول بعد الرسالة المعاصي كان معنى الأمر باتخاذهم أسوة – في حال أن المعصية جزء من أفعالهم –

[٣] المفردات في غريب القرآن ص ٣٧٣

أمرا بالمعصية ،وفي هذا تناقض ظاهر، وبذلك يثبت أن الرسل بعد نبوتهم وبعد الأمر بالاقتداء بهم معصومون من المعاصي " . [1]

ثم إن المعاصي والذنوب ما هي إلا نجاسات معنوية، وهي تشبه القاذورات والنجاسات الحسية، فكيف يجوز نسبتها للأنبياء والرسل الكرام، وقد سماها الرسول قاذورات في قوله: – صلى الله عليه وسلم –: " من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله "[2]، فالعقل والشرع يلزمان القول بعصمة النبي إذ كيف يجوز أن يكون نبياً مصطفى؛ ويكون سارقاً، أو قاطع طريق ، أو شارباً خمراً، ، أو زانياً، أو غير ذلك من القاذورات والنجاسات التي تمنع من الإقتداء به أو اتباعه؟! وهل يكون لكلام النبي أثر في النفوس إذا كانت سيرته غير عطره، أو كانت حياته ملوثة ببعض الموبقات والآثام ؟![3]

ثالثا : أدلة العصمة

إذا كان القرآن الكريم تحدث بعبارة صريحة عن عصمة الملائكة في أكثر من موضع كما في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }التحريم٦ وقوله تعالى {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ . يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } النحل٤٩ – ٥٠

فإن القرآن الكريم قد تحدث عن عصمة الأنبياء بإشارة واضحة في آيات كثيرة ،تدرك بقليل من التدبر والتفكر ،ومن هذه الآيات :

---

(1) العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٣٨١
(2) الحديث في موطأ مالك رقم ١٥٠٨
(3) النبوة والأنبياء للأستاذ محمد علي الصابوني ص٥٠ بتصرف يسير

١- قوله تعالى { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ }الأنعام١٢٤

فمنصب الرسالة لا يكون إلا باصطفاء الله الذي يعلم من يصلح لها، ويقوم بأعبائها وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق دنيء، صاحب فضائل نفسانية ونفس قدسية أفاضها الله تعالى بمحض الكرم والجود على من كمل استعداده . [١]

ولذلك يقول الرازي :ورسل الله معصومون ، لقوله تعالى " الله أعلم حيث يجعل رسالته "[٢]

٢- قوله تعالى – بعد أن يذكر عددا من الرسل والأنبياء – { أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ }الأنعام٩٠ ،فإن الآية تدل على أن الأنبياء مهديون وموفقون بهداية الله ،وإذا شملت هداية الله أحدا فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُضِلَّهُ ، أو أَنْ يَصُدَّهُ عَنْ طريق الحق والصواب كما قال تعالى {وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ }الزمر٣٧،فمجموع الآيتين معا يدل على حصول العصمة للأنبياء .

٣- قوله تعالى { أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً .فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً }}مريم٥٨-٥٩

هاتان الآيتان متتاليتان في سورة مريم ،تصف الأولى الأنبياء بإنعام الله عليهم وهدايته واجتبائه وكذلك خشوعهم وخضوعهم لله تعالى،وتصف الآية التالية من جاء بعد هؤلاء الأنبياء بالمعصية والمخالفة كإضاعة الصلاة والانهماك في الشهوات ،فدلت المقابلة بين الصفات في الآيتين على أن الأنبياء لا يضيعون فرائض الله ولا يتبعون شهواتهم ،فهم معصومون باصطفاء الله وهدايته

٤- الأوصاف القرآنية التي نعتت الأنبياء بأجل الصفات وأعظم الخلال ،وذلك في آيات كثيرة ،منها ما كان وصفا لعامة الأنبياء ،ومنه ما كان وصفا خاصا لنبي بعينه .

---

[١] انظر :تفسير الألوسي ٢١/٨ وتفسير السعدي ٢٧١/١

[٢] التفسير الكبير ٢٣٣/٢

ومما وصف به الأنبياء جميعا قوله تعالى {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ }الأنبياء٧٣ ، وقوله تعالى {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً }الأحزاب٣٩ ،وقوله تعالى { هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ }يس٥٢ وقوله تعالى{أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ }الأنعام٨٩

ومما خص بعض الأنبياء قوله تعالى في إبراهيم ﷺ{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً }مريم٤١ وقوله تعالى في إسماعيل ﷺ {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً }مريم٥٤ ، وقوله تعالى في يوسف ﷺ{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }يوسف٢٢ ،وقوله تعالى في محمد ﷺ { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }الجمعة٢ ،وقوله {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }القلم٤

فإذا كان القرآن الكريم وهو كلام رب العالمين يشهد للأنبياء بهذه الصفات العظيمة ،فكيف يتصور أن يقع منهم ما ينافي صفاتهم التي وصفهم الله بها ، ولا يناسب مقامهم الذي رقاهم الله إليه،فمثل هؤلاء " لا يمكن إلا أن يكونوا معصومين من التورط في الإثم،ومنزهين عن الوقوع في المعاصي،فلا يتركون واجبا ،ولا يفعلون محرما ،ولا يتصفون إلا بالأخلاق العظيمة التي تجعل منهم القدوة الحسنة ،والمثل الأعلى الذي يتجه إليه الناس وهم يحاولون الوصول إلى كمالهم المقدر لهم "[1]

رابعا : درجات العصمة

يمكننا تقسيم عصمة الأنبياء إلى أربع درجات :

الأولى :العصمة في تبليغ الوحي والرسالة

[1] العقائد الإسلامية للشيخ سيد سابق ص ١٨٢

وهي أعلى درجات العصمة ،فالنبي معصوم بتوفيق الله من الزيادة أو النقص أو التحريف أو الخطأ أو النسيان فيما أوحاه الله إليه ،يقول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }المائدة٦٧ ويقول سبحانه: "ولو تقول علينا بعض الأقاويل .لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين " الحاقة /٤٧ – ٤٤وواضح أن في الآية الأولى أمرا للنبي أن يبلغ جميع ما أنزل إليه فلا يكتم شيئاً **منه** ،وفي الثانية تحذير من الزيادة في الوحي أو ادعاء شيء لم ينزل عليه .

ويقول تعالى أيضا" وما هو على الغيب بضنين " التكوير /٢٤

يقول السعدي في تفسير هذه الآية: " وما هو على ما أوحاه الله إليه بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو يكتم بعضه "[1]

فالأنبياء معصومون في تبليغهم عن ربهم عز وجل ،فلا زيادة ولا نقص ولا تغيير ولا تبديل ولا تحريف .

يقول ابن تيمية :إِنَّ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى نُبُوَّةِ الْأَنْبِيَاءِ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ فِيمَا يُخْبِرُونَ بِهِ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَكُونُ خَبَرُهُمْ إلَّا حَقًّا وَهَذَا مَعْنَى النُّبُوَّةِ وَهُوَ يَتَضَمَّنُ أَنَّ اللَّهَ يُنَبِّئُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّهُ يُنَبِّئُ النَّاسَ بِالْغَيْبِ وَالرَّسُولُ مَأْمُورٌ بِدَعْوَةِ الْخَلْقِ وَتَبْلِيغِهِمْ رِسَالَاتِ رَبِّهِ . [2]

الثانية: العصمة من الكبائر

وعصمة الأنبياء من الكبائر أمر ثابت عند عامة المسلمين ،لما سبق ذكره من كون الأنبياء أسوة ومثلا أعلى ،حتى أن كثيرا من العلماء يثبتون العصمة من الكبائر قبل النبوة ؛ لأن من يقوم بأجل مهمة في الكون لا بد وأن يكون مشمولا برعاية الله وحفظه ،وقد أشارت إلى ذلك بعض الآيات كقوله تعالى { وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي }طه٣٩ ،

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٩١٢/١

[2] مجموع الفتاوى ٧/١٨

وقوله تعالى {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي }طه٤١ ، وقوله تعالى { وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ }ص٤٧ .

وإن وقع من الأنبياء شيء قبل النبوة فهو أحد أمرين :

إما أن يكون خطأ غير مقصود كقتل موسى للقبطي ،وإما ان يكون أن يكون شيئا من المخالفات اليسيرة التي لا تخل بالشرف أو المروءة .

يقول الأستاذ حسن الميداني :ولئن وقع منهم شيء من ذلك – قبل النبوة – فهفوات نادرة لا تطعن فيهم لعلو فطرتهم ،وصفاء نفوسهم ،وسمو أرواحهم ،والمهمة التي سيكلفون بها فيما بعد ، وإنما تقع منهم هذه الهفوات إثباتا لبشريتهم أمام الخلائق ،لئلا يرفعوهم فوق المستوى البشري ، ويحملوهم من صفات الإلوهية ما لا يمكن ان يتصفوا به ،فهم عبيد مخلوقون لله تعالى ، وليظهر الفرق بين أحوالهم قبل النبوة وأحوالهم بعدها " (٣)

الثالثة :العصمة من الصغائر

ذهب أكثر أهل العلم إلى أن الأنبياء غير معصومين من الوقوع في الصغائر التي تكون نتيجة الخطأ والنسيان ولا يكون فيها قصد أو تعمد ،كما ذكر القرآن عن آدم عليه السلام { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى }طه١٢١ ،وكما ذكر عن داود عليه السلام { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ }ص٢٤ وكما ذكر عن محمد ﷺ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }التحريم١ .

غير أن الأنبياء إذا كانوا غير معصومين من الوقوع في الصغائر فإنهم لا يقرون عليها،بل ينبهون إليها حتى لا يعودوا فيها ويقبل استغفارهم لها وتوبتهم عنها .

كما أن هذه الصغائر – وهي أمر نادر – لا تقدح في اصطفاء الأنبياء ، أو مكانتهم ،أو مناصبهم ، أو عصمتهم ،وهي إن لم تذكر لغيرهم وذكرت لهم ، فهذا لعظيم مكانتهم وسمو قدرهم ،فهي من باب قولهم "حسنات الأبرار سيئات المقربين "

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٣٨٣

جاء في تفسير القرطبي: الذي ينبغي أن يقال: إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها، وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها وأشفقوا منها وتابوا، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملتها وإن قبل ذلك آحادها، وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطأ والنسيان، أو تأويل دعا إلى ذلك فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات وفي حقهم سيئات، بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم، إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة. ..وهذا هو الحق.

ولقد أحسن الجنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين. ،فهم – صلوات الله وسلامه عليهم – وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم، صلوات الله عليهم وسلامه.[1]

ثم إن توبة الأنبياء من صغائرهم تكون سببا في رفع درجاتهم عند الله تعالى ،فالتائب من معصيته توبة نصوحا قد يترقى بتوبته إلى درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب معصيته ،لما يترتب على هذه التوبة من إخلاص وورع وإقبال على الله تعالى

يقول الشنقيطي :

لو فَرَضْنا أنه وقع منهم – أي الأنبياء – بعض الذنوب لأنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة والإخلاص ، وصِدق الإنابة إلى الله حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك . ومِما يوضح هذا قوله تعالى : { وعصى ءَادَمُ رَبَّهُ فغوى ثُمَّ اجتباه رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وهدى } [طه : ١٢١- ١٢٢] . فانظر أي أثر يبقى لِلعِصْيان والغي بعد توبة الله عليه ، واجتبائه أي اصطفائه

[1] الجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/١١

إياه ، وهدايته له ، ولا شكّ أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة ، والعلم عند الله تعالى [1]

الرابعة :العصمة من الأخطاء البشرية

نبياء لكونهم بشرا فإنهم قد يقعون في أخطاء بشرية نتيجة اجتهادهم البشري ،ولعل قصة تأبير النخل هي أشهر ما يروى في ذلك ،فقد روى مسلم في صحيحه عن رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ قَالَ : قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ يَقُولُونَ يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ فَقَالَ مَا تَصْنَعُونَ قَالُوا كُنَّا نَصْنَعُهُ قَالَ لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا فَتَرَكُوهُ فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ ، قَالَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ " .[2]

وخلاصة القول أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في تبليغهم وحي الله تعالى ، ومعصومون كذلك من اقتراف أي كبيرة من الكبائر ،وإن جاز وقوعهم – أو وقوع بعضهم – في الصغائر فإن هذه الصغائر تتصف بما يلي :

١- الندرة الشديدة .

٢- عدم القصد والتعمد.

٣- ارتباطها بالاجتهاد البشري .

٤- عدم قدحها في عصمتهم أو نيلها من مكانتهم .

٥- عدم قدحها في المروءة والشرف ومكارم الأخلاق بوجه عام .

٦- عدم ارتباطها بشيء من الأحكام التشريعية .

٧-عدم إقرارهم عليها وتنبيههم إليها تجنبا لمثلها .

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٦٦٦/٤

[2] مسلم . كتاب الفضائل رقم ٢٣٦٢-١٨٣٥/٤

الآيات التي توهم قدحا في عصمة الأنبياء

أولا :آيات تقدح في عصمة جميع الأنبياء

ورد في القرآن الكريم مجموعة من الآيات التي قد توهم البعض بوقوع المخالفات والمعاصي من الأنبياء مما يقدح في عصمتهم ،وهذه الآيات :

[١] قوله تعالى {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ }يوسف١١٠

هذه الآية مدخل قوي من مداخل الطاعنين في عصمة الأنبياء ،حيث نسبوا إلى الأنبياء الشك في نصر الله تعالى لهم ،والريبة في تحقيق وعده سبحانه إياهم بالغلبة على الكافرين ،مؤيدين في ذلك بقول لابن عباس رضي الله عنه في الآية مفاده أن الأنبياء حين ضعفوا وغلبوا ظنوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال : وكانوا بشراً وتلا قوله"وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله " .[1]

غير أن المعنى الصحيح لهذه الآية والذي عليه أكثر المفسرين أن الله تعالى يقول لنبيه: قد أرسلنا من قبلك –يا محمد – رسلا ،وقد اقتضت حكمتنا أن يتراخى عنهم نصرنا ، ويتطاول عليهم التكذيب من قومهم ،حتى إذا يئس الرسل من قومهم، وأيقنوا أنهم كُذِّبُوا من أقوامهم ، جاءهم نصرنا الذي وعدناهم به ، فننجي من نشاء وهم المؤمنون بالرسل، ولا يُرَدُّ عذابنا عن القوم المجرمين .

وقد ذكر ابن جرير أن هذه الآية قد أشكلت على بعض سلفنا الصالح ،حيث أسند في تفسيره أن مسلم بن يسار ، سأل سعيد بن جبير ; فقال: يا أبا عبد الله ، آية بلغت مني كل مبلغ:" حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا " ، فهذا الموتُ ، أن تظنّ الرسل أنهم قد كُذِبوا ، أو نظنّ أنهم قد كَذَبوا، " مخففة " قال: فقال سعيد بن جبير: يا أبا عبد الرحمن ، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم ، وظن قومُهم أن

---

[1] انظر تفسير الطبري ٣٠٥/١٦ ، وتفسير ابن كثير ٤٢٥/٤ ، وتفسير الخازن ٤٢٤/٣ .

الرسل كذبتهم " جاءهم نصرنا فنجى، من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجـــرمين " ، قال: فقام مسلم إلى سعيد ، فاعتنقه وقال: فرّج الله عنك كما فرّجت عني [٢]

وقد أجاب العلماء على قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بأجوبة :

أولها: أن التفسير ليس من كلام ابن عباس لكنه من متأول تأول عليه .حكاه الواحدي عن ابن الأنباري [١]

قلت :ويقوي ذلك ما رواه الطبري عن ابن عباس قوله: حتى إذا استيأس الرسل من أن يستجيب لهم قومهم ، وظنّ قومهم أن قد كذبوهم "جاءهم نصرنا ". [٢]

وهذا هو قول علماء الأمة سلفا وخلفا

ثانيها : إن صح هذا القول عن ابن عباس ، فقد أراد بالظنّ : ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية ، وأمّا الظن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر ، فغير جائز على رجل من المسلمين ، فما بال رســـل الله الذين هم أعرف الناس بربهم ، وأنه متعال عن خلف الميعاد .[٣]

ثالثها :وجه الحكيم الترمذي قول ابن عباس توجيها آخر وهو: أن الرسل كانت تخاف بعد أن وعدهم الله النصر ، أن يتخلف النصر ، لا عن تهمة بوعد الله ، بل عن تهمـــة لنفوسهم أن تكون قد أحدثت حدثاً ينقض ذلك الشرط ، فكان النصر إذا طال انتظـــاره واشتد البلاء عليهم ، دخلهم الظن من هذه الجهة .[٤]

وقَالَ الْخَطَّابِيُّ : لَا شَكَّ أَنَّ ابْن عَبَّاس لَا يُجِيز عَلَى الرُّسُل أَنَّهَا تُكَذِّب بِـــالْوَحْيِ ، ولَـــا يُشَكّ فِي صِدْق الْمُخْبِر ، فَيُحْمَل كَلَامه عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُمْ لِطُولِ الْبَلَاء عَلَـــيْهِمْ وإِبْطَـــاء النَّصْر وَشِدَّة اِسْتِنْجَاز مَنْ وَعَدُوهُ بِهِ تَوَهَّمُوا أَنَّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ الْوَحْي كَانَ حُسْبَانًا مِنْ أَنْفُسهمْ ، وَظَنُّوا عَلَيْهَا الْغَلَط فِي تَلَقِّي مَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَكُون الَّذِي بُنِيَ لَهُ الْفِعْل

---

[٢] جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠١/١٦ .
[١] تفسير الخازن ٤٢٤/٣ .
[٢] جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩٦/١٦.
[٣] انظر :تفسير الكشاف للزمخشري ٣٣٠/٣ وتفسير البيضاوي ٤٩٨/١.
[٤] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٦٨/٨.

أَنفُسهمْ لَا الْآتِي بِالْوَحْيِ ، وَالْمُرَاد بِالْكَذِبِ الْغَلَط لَا حَقِيقَة الْكَذِب كَمَا يَقُول الْقَائِل كَـذَبَتْك نَفْسك .

وعلق على ذلك ابن حجر بقوله: وَيُؤَيِّدهُ قِرَاءَة مُجَاهِد (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَـذَبُوا) بِفَـتْحِ أَوَّله مَعَ التَّخْفِيف أَيْ غَلِطُوا [٥]

قلت : وفي هذا دليل على شدة محاسبة النفس عند الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ،واتهامهم لأنفسهم بالتقصير تواضعا وتعليما ،وكذلك مراقبتهم لله عز وجل وحسن ظنهم به .

رابعا :قَالَ أَبُو نَصْر الْقُشَيْرِيُّ : وَلَا يَبْعُد أَنَّ الْمُرَاد خَطَرَ بِقَلْبِ الرُّسُل فَصَرَفُوهُ عَنْ أَنْفُسهمْ ، أَوْ الْمَعْنَى قَرَّبُوا مِنْ الظَّنّ كَمَا يُقَال بَلَغْت الْمَنْزِل إِذَا قَرُبَتْ مِنْهُ .[١]

قلت : وفي الآية قراءة أخرى بالتضعيف (كُذِّبُوا)–وهي قراءة متواترة [٢] ، وهي ظاهرة في أن التكذيب كان من أقوام الرسل لا من الرسل ،وهي أولى أن تفسر بها قراءة التخفيف ، فتعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات .

وقد روى البخاري في صحيحه عن عُرْوَةُ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :أَرَأَيْتِ قَوْلَهُ{ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُـذِّبُوا }أَوْ{ كُذِبُوا }

قَالَتْ بَلْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُمْ فَقُلْتُ وَاللَّه لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ وَمَا هُوَ بِالظَّنِّ فَقَالَتْ يَا عُرَيَّةُ لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ قُلْتُ فَلَعَلَّهَا أَوْ{ كُذِبُوا }

قَالَتْ مَعَاذَ اللَّه لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا وَأَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتْ هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ وَطَالَ عَلَيْهِمْ الْبَلَاءُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمْ النَّصْرُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَتْ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ[٣].

---

[٥] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٦٨/٨.
[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٦٨/٨
[٢] النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢١٦/١
[٣] البخاري كتاب الأنبياء رقم ٣٢٠٩-١٢٣٩/٣

[٢] قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }الحج٥٢

المعنى الظاهر لهذه الآية هو أن الله تعالى يخبر نبيه بأنه سبحانه ما أرسل قبل محمد من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله يدعوهم به إلى الحق ألقى الشيطان في قراءته الوساوس والشبهات؛ ليصدَّ الناس عن اتباع ما يقرؤه ويشككهم فيما يتلوه ، لكن الله يبطل كيد الشيطان، فيزيل وساوسه، ويثبت آياته الواضحات فلا تقبل زيادة ولا نقصانا والله عليم بأحوال خلقه حكيم في تدبيره وشرعه

والآية على هذا المعنى قد يفهم منها أن الشيطان يتدخل في الوحي المنزل على النبي فيغيره ويبدله ،ويتقوى هذا الفهم بما ورد في نزول هذه الآية من قصة الغرانيق المعروفة والتي مفادها أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَرَأَ في مَكَّةَ سُورَةَ النَّجْمِ في حُضُور جَمْعٍ مِنَ المُسْلِمينَ والمُشْرِكِينَ فَلَمّا بَلَغَ في قِراءَتِه { أَفَرَأَيْتُمُ اللات والعزى وَمَنَاةَ الثالثة الأخرى } أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِه (تِلْكَ الغَرَانِيْقُ العُلَى وإنّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى) فَقَالَ المُشْرِكُونَ مَا ذَكَرَ آلِهَتَنَا بخَيْر قَبْلَ اليَوْم ، فَلَمَّا خَتَمَ السّورَةَ سَجَدَ وَسَجَدُوا ، فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَى النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم نبَّهه جَبريل عليه السلام فاغتمَّ به وحزن حزناً شديداً وخاف من الله تعالى خوفاً كبيراً فعزَّاه الله عزَّ وجلَّ بهذه الآيةِ { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ . . الآيَةَ } .

والآية بذلك تحمل دليلا قويا لعدم عصمة الأنبياء في تبليغهم لوحي الله تعالى ،وهو أمر جد خطير .

ولذلك فقد تصدى المفسرون لهذا الادعاء مدحضين له بردود كثيرة نجملها فيما يلي :

١-توهين أصل القصة المذكورة وذلك أنه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وإنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل

غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعيف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها [١] .

قال القاضي عياض : إن هذا حديث لم يُخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقةٌ بسندٍ سليم متصل .[٢]

وقال الفخر الرازي في تفسيره : هذه الرواية باطلة موضوعة عند أهل التحقيق .[٣]

٢- ذكر الشيخ محمد عبده أن هذه الرواية مردودة أيضا من حيث اللغة ،وذلك لأن العرب لم يصفوا آلهتهم بالغرانيق لا في شعرهم ولا نثرهم ، ولم يجر ذلك على ألسنتهم ولم يستعمل الغرنوق أو الغرنيق إلا لاستعماله الحقيقي بكونه طائرا مائيا أسود وأبيض،واسمه مالك الحزين ،واستعمل أيضا بشكل مجازي للدلالة على الشاب الأبيض الجميل [٤]

٣- تدل آيات القرآن الكريم على أن الله لم يجعل للشيطان سلطاناً على النَّبي صلى الله عليه وسلم ، وإخوانه من الرسل ، وأتباعهم المخلصين كقوله تعالى : { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ على الذين آمَنُواْ وعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ على الذين يَتَوَلَّوْنَهُ والذين هُم بِهِ مُشْرِكُونَ } [النحل : ٩٩-١٠٠] وقوله تعالى : { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتبعك مِنَ الغاوين } [الحجر : ٤٢] وقوله تعالى { وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بالآخرة } [سبأ : ٢١] الآية وعلى القول المزعوم أن الشيطان ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ذلك الكفر البواح ، فأي سلطان له أكبر من ذلك . [٥]

٤- إن التمني قد يكون بمعنى حديث النفس وقد يكون بمعنى التلاوة فعلى الأول : يكون معنى قوله { إلا إذا تمنى } أي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الأمور ، ولا يبعد أنه إذا

---

[١] لباب التأويل للخازن ٣٦١/٤
[٢] الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص٢٨٨
[٣] التفسير الكبير ٥١/٢٣
[٤] انظر تفسير الفاتحة وثلاث مقالات تفسيرية ص ١٠٠
[٥] نظر :أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٧٩٥/٥

قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الأفعال الظاهرة ، وعلى الثاني : وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله { إلا إذا تمنى } أي تلا ، وهو ما يقع للنبيّ صلى الله عليه وسلم من السهو في إسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين .[1]

٥-إن الأنبياء والرسل يرجون اهتداء قومهم ما استطاعوا فيبلغونهم ما ينزل إليهم من الله ويعظونهم ويدعونهم بالحجة والمجادلة الحسنة حتى يظنوا أن أمنيتهم قد نجحت ويقترب القوم من الإيمان ، فيأتي الشيطان فلا يزال يوسوس في نفوس الكفار فينكصون على أعقابهم ، ..وكلما أفسد الشيطان دعوة الرّسل أمرَ الله رسلَه فعاودوا الإرشاد وكرروه وهو سبب تكرر مواعظ متماثلة في القرآن ، فبتلك المعاودة يُنسخ ما ألقاه الشيطان وتُثبت الآيات السالفة . [2]

[٣] أدعية الأنبياء بالتوبة والمغفرة

في القرآن الكريم مجموعة من الآيات التي يتضرع فيها الأنبياء إلى الله تعالى أن يغفر لهم ويتوب عليهم ،

ومن أدعية الأنبياء بالتوبة والمغفرة في القرآن الكريم:

- دعاء آدم عليه السلام {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }الأعراف٢٣

- دعاء نوح عليه السلام {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ }نوح٢٨

- دعاء إبراهيم عليه السلام {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ }إبراهيم٤١

- دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }البقرة١٢٨

---

[1] انظر لباب التأويل للخازن ٣٦١/٤

[2] التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠٠/١٧

- دعاء موسى عليه السلام {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }الأعراف ١٥١

- دعاء سليمان عليه السلام {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ }ص٣٥

وقد يفهم من هذه الآيات وقوع الذنب من الأنبياء ،وذلك أن التوبة لا تطلب من الله إلاّ بعد تقدم الذنب فلو لا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه .

وقد أجاب العلماء على ذلك بوجوه:

أولها :أن طلب التوبة والمغفرة إنما يكون لما فعلوه من الصغائر التي وقعت دون قصد أو تعمد ،أو ما فعلوه خلاف الأولى والأفضل ،فذلك يعد ذنبا بالنظر إلى مقامهم ومنزلتهم ، فدرجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الرقعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل " تحملهم على الخوف منه والإشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخَذ به غيرهم وأنهم ربما عوتبوا بأمور صدرت منهم على سبيل التأويل والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجِلون ، وهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم وسيئات بالنسبة إلى كمال طاعتهم ، لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم ، مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ، ذنوباً وهي حسنات بالنسبة إلى غيرهم كما قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين . يعني أنهم يرونها بالنسبة إلى أحوالهم كالسيئات وهي حسنات لغيرهم ".[1]

ثانيها :إن الدعاء وإن صدر من الأنبياء إلا أن المقصود به أتباعهم وذرياتهم .

يقول الرازي- في تفسير قوله تعالى على لسان إبراهيم - { وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }البقرة١٢٨ : إنه تعالى لما أعلم إبراهيم عليه السلام أن في ذريته من يكون ظالماً عاصياً ، لا جرم سأل ههنا أن يجعل بعض ذريته أمة مسلمة ، ثم طلب

---

[1] لباب التأويل ٤٩٣/٢

منه أن يوفق أولئك العصاة المذنبين للتوبة فقال " وَتُبْ عَلَيْنَا " أي على المذنبين من ذريتنا ، والأب المشفق على ولده إذا أذنب ولده فاعتذر الوالد عنه فقد يقول : أجرمت وعصيت وأذنبت فاقبل عذري ويكون مراده : إن ولدي أذنب فاقبل عذره ، لأن ولد الإنسان يجري مجرى نفسه.[٢]

ثالثها :أن الأنبياء يدعون بالتوبة والمغفرة لتعليم الناس ليقتدوا بهم في التضرع إلى الله تعالى فإذ كان الأنبياء المعصومون والمقربون المصطفون يستغفرون ،فإن ذلك أوجب في حق أصحاب الذنوب والمعاصي

رابعها: إن التوبة تختلف باختلاف التائبين ،فهناك :

توبة سائر المسلمين.

وتوبة الخواص .

وتوبة خواص الخواص .

أما توبة سائر المسلمين فهي الندم والعزم على عدم العود ورد المظالم إذا أمكن ، ونية الرد إذا لم يمكن ،

وتوبة الخواص الرجوع عن المكروهات من خواطر السوء ، والفتور في الأعمال ، والإتيان بالعبادة على غير وجه الكمال ،

وتوبة خواص الخواص لرفع الدرجات ، والترقي في المقامات ،وهي توبة الأنبياء[١]

ثانيا :الآيات التي توهم قدحا في عصمة بعض الأنبياء

كما أن هناك مجموعة من الآيات التي وردت في حق بعض الأنبياء وتوهم قدحا فيهم وفي عصمتهم ،وهؤلاء الأنبياء :

[١] آدم عليه السلام

يقول الله تعالى { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى }طه١٢١

---

[٢] التفسير الكبير ٧٠/٤

[١] روح المعاني للألوسي ٣٨٦/١

تدل الآية بظاهرها أن آدم عليه السلام عصى الله تعالى وخالف أمره سبحانه واستجاب لدعوة إبليس وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن أكلها ،وهذا يقدح في عصمة الأنبياء.

وقد أجاب العلماء على تلك الشبهة بردود كثيرة نجمعها في ثلاثة:

- بعضهم يرى أن آدم فعل ما فعل قبل النبوة ،لقوله تعالى {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى }طه ١٢٢ ، فلا تتعارض مع عصمة الأنبياء ،يقول الرازي :واعلم أن الأولى عندي في هذا الباب والأحسم للشغب أن يقال : هذه الواقعة كانت قبل النبوة [١]

- وبعضهم يرى أن آدم فعل ما فعل مجتهدا ،حيث فهم أن الشجرة المنهي عنها هي شجرة بعينها ،وليس كل الشجر .

- وبعضهم يرى أن آدم فعل ما فعل ناسيا كما أخبر القرآن الكريم في قوله تعالى {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً }طه١١٥ ،والناسي لا يؤاخذ على نسيانه { رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا }البقرة٢٨٦

يقول الألوسي : إن صدور ما ذكر منه كان قبل النبوة وكان سهواً أو عن تأويل إلا أنه عظم الأمر عليه وعظم لديه نظراً إلى علو شأنه ومزيد فضل الله تعالى عليه ، وإحسانه وقد شاع حسنات الأبرار سيئات المقربين . [٢]

وقد رجح القرطبي القول الأخير – النسيان – ،وهو الذي عليه أكثر المفسرين ،يقول : واختلفوا كيف أكل منها مع الوعيد المقترن بالقرب وهو قوله تعالى: " فتكونا من الظالمين "، فقال قوم: أكلا من غير التي أشير إليها فلم يتأولا النهي واقعا على جميع جنسها..

وقيل: أكلها ناسيا ..وهو الصحيح لإخبار الله تعالى في كتابه بذلك حتما وجزما فقال: " ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما " طه ١١٥.

---

[١] التفسير الكبير ١٢٩/٢٢
[٢] روح المعاني ٢٧٥/١٦

ولكن لما كان الانبياء عليهم السلام يلزمهم من التحفظ والتيقظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم ما لا يلزم غيرهم كان تشاغله عن تذكر النهي تضييعا صار به عاصيا، أي مخالفا.

قال أبو أمامة: لو أن أحلام بني آدم منذ خلق الله الخلق إلى يوم القيامة وضعت في كفة ميزان ووضع حلم آدم في كفة أخرى لرجحهم، وقد قال الله تعالى: " ولم نجد له عزما ".(١)

وإذا تبين لنا أن آدم عليه السلام لم يقصد المعصية أو يتعمدها فغير جائز لنا أن نتهمه بالمعصية والغواية ،فلنحفظ له قدره ومقامه واصطفاء الله له

يقول ابن العربي : وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَّا أَنْ يُخْبِرَ بِذَلِكَ – يعني المعصية – عَنْ آدَمَ ، إلَّا إذَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَثْنَاءِ قَوْلِ اللَّهِ عَنْهُ ، أَوْ قَوْلِ نَبِيِّهِ ،وَأَمَّا أَنْ نَبْتَدِئَ فِي ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا فَلَيْسَ بِجَائِزٍ لَنَا فِي آبَائِنَا الْأَدْنَيْنَ إلَيْنَا ، الْمُمَاثِلَيْنِ لَنَا ، فَكَيْفَ بِأَبِينَا الْأَقْدَمِ الْأَعْظَمِ ، النَّبِيِّ الْمُقَدَّمِ ، الَّذِي عَذَرَهُ اللَّهُ ، وَتَابَ عَلَيْهِ ، وَغَفَرَ لَهُ .(٢)

وقد أشار بعض المفسرين إلى أن ذكر هذه الثغرة لآدم عليه السلام يحمل مزجرة بليغة وموعظة لكافة للمكلفين كأنه قيل لهم : انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلاً عن الكبائر . (٣)

[٢] نوح عليه السلام

يقول الله تعالى {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ . قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ }هود٤٥ –٤٦

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٥/١
(٢) أحكام القرآن ٢٩٥/٣
(٣) تفسير النسفي ٣٨٨/٢

وعد الله تعالى نوحا عليه السلام بنجاة أهله من الغرق في قوله تعالى {حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ }هود٤٠ ،فأخذته عاطفة الأبوة ودعا الله أن ينجي ولده من الغرق فأخبره الله تعالى أن ابْنُهَ هذا لَيْسَ مِنْ أَهْلِه ،فقد انقطعت الولاية بينهما بسبب كفر ذلك الولد .

وقد استشكل بعض أهل العلم بعض ألفاظ هذه الآية التي قد يفهم منها قدحا في عصمة نوح عليه السلام ،وذكر الرازي أن هذه الآية يحتج بها من قدح في عصمة الأنبياء عليهم السلام من وجوه الوجه الأول : إن الضمير في قوله " إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالح " قد يعود إلى سؤال نوح نجاة ولده ، ..فكأن التقدير أن هذا السؤال عمل غير صالح ، أي قوله : إن ابني من أهلي لطلب نجاته عمل غير صالح ، وذلك يدل على أن هذا السؤال كان ذنباً ومعصية .

الوجه الثاني : أن قوله : { فَلاَ تسأَلني } نهي له عن السؤال ، والمذكور السابق هو قوله { إِنَّ ابني مِنْ أهلي } فدل هذا على أنه تعالى نهاه عن ذلك السؤال فكان ذلك السؤال ذنباً ومعصية

الوجه الثالث : أن قوله : { فَلاَ تسأَلني مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } يدل على أن ذلك السؤال كان قد صدر لا عن العلم ، والقول بغير العلم ذنب لقوله تعالى : { وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ } [البقرة : ١٦٩] .

الوجه الرابع : أن قوله تعالى " إني أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجاهلين " يدل على أن ذلك السؤال كان محض الجهل . وهذا يدل على غاية التقريع ونهاية الزجر ، وأيضاً جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور في القرآن . قال تعالى " يَعْمَلُونَ السوء بجهالة " النساء ١٧ ، وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام " أَعُوذُ بالله أَنْ أَكُونَ مِنَ الجاهلين " البقرة ٦٧ .

الوجه الخامس : أن نوحاً عليه السلام اعترف بإقدامه على الذنب والمعصية في هـذا المقام فإنه قال : { إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لي وترحمني أَكُن مِّنَ الخاسرين } واعترافه بذلك يدل على أنه كان مذنباً .[1]

وأجاب العلماء على هذه الوجوه بعبارات كثيرة ،يمكن الجمع بينها بأن ما فعله نوح من سؤال الله تعالى نجاة ولده ليس ذنبا وإنما هو خلاف الأولى ،لأنه – كنبي– ينبغي عليه ألا ينساق وراء عاطفة الأبوة ويسأل ما لا يليق بمقامه ،ولذلك فهو في الآية التالية يلجأ إلى الله تعالى ليغفر له عثرته التي لم يقصد إليها {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ }هود٤٧

وإليك بعض عبارات المفسرين:

يقول الرازي :

لما دلت الدلائل الكثيرة على وجوب تنزيه الله تعالى الأنبياء عليهم السلام من المعاصي ، وجب حمل هذه الوجوه المذكورة على ترك الأفضل والأكمل ، وحسنات الأبرار سيئات المقربين ، فلهذا السبب حصل هذا العتاب والأمر بالاستغفار ، ولا يدل على سابقة الذنب كما قال : { إِذَا جَاء نَصْرُ الله والفتح * وَرَأَيْتَ الناس يَدْخُلُونَ فِى دِينِ الله أفواجا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واستغفره } [النصر : ١ ٣] ومعلوم أن مجيء نصر الله والفتح ودخول الناس في دين

الله أفواجاً ليست بذنب يوجب الاستغفار وقال تعالى " واستغفر لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات " محمد ١٩ وليس جميعهم مذنبين ، فدل ذلك على أن الاستغفار قد يكون بسبب ترك الأفضل[1]

ويقول الخازن :

إن الله عز وجل كان قد وعد نوحاً عليه السلام بأن ينجيه وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله

---

[1] انظر :التفسير الكبير ١٨ /٤،٥

[1] التفسير الكبير ١٨/٥

سبحانه وتعالى فأقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له أنه ليس من أهله الذي وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى أنه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأشفق نوح من إقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ إلى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسأل المغفرة والرحمة لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله وإقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم .[٢]

ويقول ابن عاشور: ثم إن كان نوح عليه السّلام لم يسبق له وحي من الله بأن الله لا يغفر للمشركين في الآخرة كان نهيه عن أن يسأل ما ليس له به علم ، نهيَ تنزيه لأمثاله لأن درجة النبوءة تقتضي أن لا يقدم على سؤال ربه سؤْلاً لا يعلم إجابته ..وإن كان قد أوحي إليه بذلك من قبل ، كما دل عليه قوله : { وإنّ وعدكَ الحقُ } ، وكان سؤاله المغفرة لابنه طلباً تخصيصَه من العموم . وكان نهيه نهيَ لَوم وعتاب حيث لم يتبيّن من ربه جواز ذلك .[٣]

[٣] إبراهيم عليها السلام

دارت الشبهة حول عصمة إبراهيم في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم ،وأظهرها :

١- قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }البقرة٢٦٠

قد يتوهم من هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام يشك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى،وحاشاه أن يصدر منه ذلك ،لأن ما حدث من إبراهيم هو سؤال عن الكيفية والطريقة لا سؤال عن الماهية لأن" الاستفهامُ بكيف إنما هو سؤالٌ عن حال شيءٍ

---

[٢] لباب التأويل ٣٠٨/٣

[٣] التحرير والتنوير ٨٧/١٢

متقررِ الوجود عند السائلِ والمسؤولِ ، فالاستفهامُ هاهنا عن هيئة الإحياءِ المتقرّر عند السائل أي بصِّرْني كيفيةَ إحيائِك للموتى ، وإنما سأله عليه السلام ليتأيّد إيقانُه بالعِيان ويزدادَ قلبُه اطمئناناً على اطمئنان[1]

فسؤال إبراهيم لم يكن عن شك في أمر ديني والعياذ بالله ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء ليحيط علماً بها وكيفية الإحياء لا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها ، فالخليل عليه السلام طلب علم ما لا يتوقف الإيمان على علمه ، ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة " كَيْفَ " وموضوعها السؤال عن الحال ، ونظير هذا أن يقول القائل : كيف يحكم زيد في الناس فهو لا يشك أنه يحكم فيهم ولكنه سأل عن كيفية حكمه المعلوم ثبوته ولو كان سائلاً عن ثبوت ذلك لقال أيحكم زيد في الناس ولما كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فتنسب إلى إبراهيم وحاشاه شكا من هذه الآية قطع النبي صلى الله عليه وسلم دابر هذا الوهم بقوله على سبيل التواضع :« نحن أحق بالشك من إبراهيم » أي ونحن لم نشك فلأن لا يشك إبراهيم أحرى [2]

فلم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً في قدرة الله تعالى على الإحياء "ولكنه أحب أن يرى ذلك عياناً كما أن المؤمنين يحبون أن يروا نبيهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، ويحبون رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونها ، ويسألونه في دعائهم مع الإيمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك أحب إبراهيم أن يصير الخبر له عياناً [3]

هذا وقد ذكر المفسرون وجوها غير هذا الوجه المذكور ،أهمها :

١-الشوق والرغبة والتشوف إلى أسرار قدرة الله تعالى ،يقول الأستاذ سيد قطب : **إنه** التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية . وحين يجيء هذا التشوف من إبراهيم الأواه الحليم ، المؤمن الراضي الخاشع العابد القريب الخليل . . حين يجيء هذا

---

[1] انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/٣ والألوسي ٢٦/٣ وأبي السعود ٣٠٤/١

[2] انظر تفسير الكشاف للزمخشري ٣٩١/١ وتفسير روح المعاني للألوسي ٢٦/٣ والحديث في صحيح البخاري كتاب الأنبياء رقم٣١٩٢-١٢٣٣/٣،وصحيح مسلم كتاب الإيمان رقم ١٥١-١٣٣/١

[3] لباب التأويل ٣٦٢/١

التشوف من إبراهيم فإنه يكشف عما يختلج أحياناً من الشوق والتطلع لرؤية أسرار الصنعة الإلهية في قلوب أقرب المقربين!

إنه تشوف لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره، وليس طلباً للبرهان أو تقوية للإيمان . . إنما هو أمر آخر . . له مذاق آخر إنه أمر الشوق الروحي ، إلى ملابسة السر الإلهي ، في أثناء وقوعه العملي . ومذاق هذه التجربة في الكيان البشري مذاق آخر غير مذاق الإيمان بالغيب ولو كان هو إيمان إبراهيم الخليل ، الذي يقول لربه ، ويقول له ربه .

وليس وراء هذا إيمان ، ولا برهان للإيمان . ولكنه أراد أن يرى يد القدرة وهي تعمل؛ ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيستروح بها ، ويتنفس في جوها ، ويعيش معها . . وهي أمر آخر غير الإيمان الذي ليس بعده إيمان .[1]

٢- أن سبب سؤال إبراهيم هو أنه رأى جيفة مطروحة في شط البحر فإذا مد البحر أكل منها دواب البحر ، وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت ، وإذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت ، فقال إبراهيم : رب أرني كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر ، فقيل : أو لم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب من السؤال أن يصير العلم بالاستدلال ضرورياً .[2] الطبري الرازي

٣- أنه صلى الله عليه وسلم إنما سأل ذلك لقومه وذلك أتباع الأنبياء كانوا يطالبونهم بأشياء تارة باطلة وتارة حقة ، كقولهم لموسى عليه السلام : { اجعل لنا إلها كما لهم آلهة } الأعراف ١٣٨ ، فسأل إبراهيم ذلك . والمقصود أن يشاهده فيزول الإنكار عن قلوبهم .

٤- لما جاء الملك إلى إبراهيم وأخبره بأن الله تعالى بعثك رسولاً إلى الخلق طلب المعجزة فقال : { رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } على أن الآتي ملك كريم لا شيطان رجيم .

---

(١) في ظلال القرآن ٣٠٢/١
(٢) انظر تفسير الطبري ٤٨٦/٥

٤- تقدير الآية أن جميع الخلق يشاهدون الحشر يوم القيامة فأرني ذلك في الدنيا ، فقال : أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على أن خصصتني في الدنيا بمزيد هذا التشريف .[٣]

٢- قوله تعالى {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ }الأنعام . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }الأنعام٧٦-٧٩

قد يظن ظان أن هذه الآيات تحمل قدحا في عصمة إبراهيم عليه السلام لأن ظاهرها يدل على أن إبراهيم عليه السلام كان متخبطا في معرفة الله ، لا يدري من هو الإله الحق المستحق للعبادة

وهذا الظن غير صحيح لأن إبراهيم عليه السلام نهج مع قومه لدعوتهم إلى الله نهجا جديدا،وأعطى درسا عظيما في باب الدعوة يستفيد منه كل داع ، إذ عمد إلى إثبات وجود الله عن طريق التدرج "بطريقة تربوية منطقية "[١] ،حيث إن قومه كانوا يعبدون الكواكب "فاتخذوا لكل كوكب صنماً من المعادن المنسوبة إليه كالذهب للشمس والفضة للقمر ليتقربوا إليها فكان الصنم كالقبلة لهم فأنكر أولا عبادتهم للأصنام بحسب الظاهر ثم أبطل منشآتها وما نسبت إليه من الكواكب بعدم استحقاقها لذلك أيضاً "[٢].

يقول ابن العربي :وَالَّذِي أُوتِيَهُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ الْعِلْمِ بِالْحُجَّةِ ، وَهِيَ الَّتِي تُذْكَرُ لِلْخَصْمِ عَلَى طَرِيقِ الْمُقَابَلَةِ كَانَ فِي الدُّنْيَا بِظُهُورِ دَلَالَةِ التَّوْحِيدِ وَبَيَانِ عِصْمَةِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْجَهْلِ بِاَللَّهِ

---

[٣] الوجوه الثلاثة الأخيرة في تفسير الرازي ٤١/٧
[١] العقيدة الإسلامية كمال محمد عيسى ص ٣٢٢
[٢] روح المعاني ٢٠٠/٧

تَعَالَى ، وَالشَّكُّ فِيهِ ، وَالْإِخْبَارِ أَنَّ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ إِنَّمَا كَانَ احْتِجَاجًا ، وَلَمْ يَكُنْ اعْتِقَادًا.(٣)

فإبراهيم عليه السلام خاطب قومه على قدر عقولهم ووفق استيعابهم للوصول بهم إلى الحق والصواب ،لاسيما إن لم يكن هناك طريق غير هذا الطريق التمثيلي

يقول الفخر الرازي :إنه – أي إبراهيم – صلى الله عليه وسلم أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب إلا أنه عليه السلام كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه ، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجة ، وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب مع أن قلبه صلوات الله عليه كان مطمئناً بالإيمان ، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله وتمام التقرير أنه لما يجد إلى الدعوة طريقاً سوى هذا الطريق ، وكان عليه السلام مأموراً بالدعوة إلى الله كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر ، ومعلوم أن عند الإكراه يجوز إجراء كلمة الكفر على اللسان قال تعالى : { إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان } [النحل : ١٠٦] فإذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة بقاء شخص واحد فبأن يجوز إظهار كلمة الكفر لتخليص عالم من العقلاء عن الكفر والعقاب المؤبد كان ذلك أولى(٤)

قلت :ويؤيد ذلك قوله سبحانه بعد هذه الآيات {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }الأنعام٨٣

ومثل ما فعله إبراهيم مثل ما فعل " الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنماً فأظهر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رأيه في كثير من أمورهم إلى أن دهمهم عدو لا قبل لهم به فشاوروه في أمر هذا العدو فقال : الرأي عندي أن ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا ، فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون إليه فلم يغنِ شيئاً فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع ، دعاهم الحواري وأمرهم أن يدعو

(٣)) أحكام القرآن ٢٦٢/٢
(٤) التفسير الكبير ٥٣/١٣

الله عز وجل ويسألوه أن يكشف ما نزل بهم ، فدعوا الله مخلصين ، فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا جميعاً [1]".

هذا ،وقد ذكر المفسرون أقوالا أخرى نذكر أهمها :

_ إن إبراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان إلهاً كما تزعمون لما غاب فهو كقوله { ذق إنك أنت العزيز الكريم } يعني عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى : { انظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً } يريد إلهك بزعمك [2]

_ إن في هذه الآية إضماراً تقديره يقولون { هذا ربي } وإضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى : { وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا } أي يقولان { ربنا تقبل منا }[3]

_ أن القوم لما دعوه إلى عبادة النجوم فكانوا في تلك المناظرة إلى أن طلع النجم الدري فقال إبراهيم عليه السلام { هذا رَبّى } أي هذا هو الرب الذي تدعونني إليه ثم سكت زماناً حتى أفل ثم قال : { لا أُحِبُّ الآفلين } [4]

أما من قال بأن إبراهيم فعل ذلك في صغره وطفولته ،فإن هذا القول مردود لأن الأنبياء صفوة الله من خلقه فلا بد وأن تكلأهم عنايته وتحيطهم رعايته فلا يشطون قولا أو عملا .

يقول الخازن : وهذا القول ليس بسديد ولا مَرْضي لأن الأنبياء معصومون في كل حال من الأحوال وأنه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه برئ وكيف يتوهم هذا على إبراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت

---

[1] لباب التأويل٤٠٢/٢
[2] لباب التأويل ٤٠٣/٢
[3] التفسير الكبير ٥٤/١٣
[4] انظر تفسير الرازي ٥٣/١٣ وتفسير الخازن ٤٥٠٣/٢

السموات والأرض أفبرؤية الكوكب يقول معتقداً هذا ربي؟ حاشا إبراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لأن منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم .[٥]

معاريض إبراهيم عليه السلام

وردت بعض العبارات القرآنية على لسان إبراهيم عليه السلام قد يفهم من ظاهرهما أنهما من الكذب الذي يتنافى مع عصمة الأنبياء ،وهما قوله بعد تحطيم الأصنام {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ }الأنبياء ٦٣، وقوله – ليتخلف عنهم ويتفرغ لتحطيم الأصنام– {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ }الصافات٨٩ ،وقد يتأكد هذا الفهم عندما نعلم أن النبي ﷺ سمى ذلك كذبا فيما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ عز وجل قَوْلُهُ{ إِنِّي سَقِيمٌ }وَقَوْلُهُ{ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا }

وَقَالَ : بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنْ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ مَنْ هَذِهِ قَالَ أُخْتِي فَأَتَى سَارَةَ قَالَ يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي فَلَا تُكَذِّبِينِي فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضُرُّكِ فَدَعَتْ اللَّهَ فَأُطْلِقَ ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضُرُّكِ فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ فَقَالَ إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ مَهْيَا قَالَتْ رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ أَوْ الْفَاجِرِ فِي نَحْرِهِ وَأَخْدَمَ هَاجَرَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ[١]

والكذب المشار إليه ليس كذبا حقيقيا وإنما هو من معاريض الأقوال التي يلجأ إليها الإنسان أحيانا لتجنب الكذب ، وفي الحديث "إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب " [٢] ، ومثل هذا ما روي من قول نبينا ﷺ لمن قال له في طريق الهجرة : ممن الرجل؟

---

[٥] لباب التأويل ٤٠٢/٢

[١] البخاري كتاب رقم ٣١٧٩-١٢٢٥/٣ ومسلم كتاب رقم ٢٣٧١-

[٢] رواه البيهقي كتاب الشهادات ١٠ ١٩٩

قال :من ماء حيث أراد عليه الصلاة والسلام ذكر مبدأ خلقه ففهم السائل أنه بيان قبيلته وكقول صاحبه الصديق وقد سئل عنه ﷺ في ذاك أيضاً : هو " هاد يهديني ". **يُرِيدُ الْهِدَايَةَ فِي الدِّينِ وَيَحْسِبهُ الآخر دَلِيلًا** .[٣] ،فقد أراد الصديق شيئاً وفهم السائل شيئا آخر ولا يعد ذلك كذباً في الحقيقة .

فقول إبراهيم عليه السلام " إِنِّي سَقِيمٌ " أي سقيم القلب بسبب إطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك ،وذلك هو دأب الأنبياء من حزنهم وضيقهم من إعراض أقوامهم كما قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم { لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }الشعراء٣ "

و قوله "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ " يراد به إقامة الحجة عليهم وتبكيتهم، ولهذا قال سبحانه: { فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ }

وأما قوله عليه السلام عن زوجته "سارة " :أختي ،فقصد بذلك عليه السلام أخوة الدين والعقيدة كما قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }الحجرات١٠ .

وإن قيل لم سمى النبي معاريض إبراهيم كذبا ؟

قلت – والله أعلم – :

– لأن صورتها صورة الكذب وإن كانت في الحقيقة غير ذلك .

– أو لأنها كذب في نظر من يجهل حال إبراهيم .

– أو لأنها تشبه الكذب بالنظر إلى مقام إبراهيم،فحسنات الأبرار سيئات المقربين .

[٤]يوسف عليه السلام

لعل الشبهة المتعلقة بيوسف عليه السلام هي أوضح الشبهات وأقواها لأنها تنسب إلى نبي الله كبيرة من أكبر الكبائر وجريمة من أشنع الجرائم وهي إقدامه على جريمة الزنا لولا أن رأى برهانا من ربه سبحانه فامتنع وارتدع ،ومنطلق هذه الشبهة هو قوله تعالى {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ }يوسف٢٤

---

[٣] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢٥١/٧

وبعد الوقوف على أقوال المفسرين الكثيرة ،يمكننا أن نجمعها في ثلاثة أقوال :

الأول :أن الهم من المرأة هم فعل ، والهم من يوسف عليه السلام هم نفس .

الثاني :أن الهم من المرأة هم ضرب ، والهم من يوسف عليه السلام هم بالرد عليها

الثالث : أن الهم من المرأة هم طلب ، والهم من يوسف عليه السلام هم دفع

أما القولان الثاني والثالث فيصطدمان مع قوله تعالى " لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ".

وأما القول الأول فهو الذي يدل عليه لفظ الآية وسياقها،وهم النفس عند يوسف هو ميله إليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا قصدا اختياريا ، وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تبارك وتعالى :

« إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له عشرة »[1]

والذي تطمئن إليه النفس هو أن يوسف عليه السلام قد اجتمع داخله في هذا الموقف أمران :

الأول :نوازع البشرية وما يعتريه من عثرات لما ركب فيها من شهوات ونزوات

الثاني :أنوار النبوة المعصومة بحفظ الله وعنايته

فيوسف عليه السلام قد يميل إليها بطبعه وفطرته ،إلا أن ميله هذا لا يؤدي به إلى الوقوع في الرزيلة ،واقتراف الكبيرة،لأنه معصوم عنها قبل النبوة بله بعدها

ولذلك فقد أعجبتني خاطرة الأستاذ سيد قطب حيث رأى أن قوله تعالى :{ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه } هو نهاية موقف طويل من الإغراء ، بعدما أبى

---

[1] انظر تفسير الخازن ٣٦٢/٣،وتفسير أبي السعود ٣٨٠/٣،وتفسير الألوسي ٢١٦/١٢ والحديث في صحيح مسلم كتاب الإيمان رقم ١٢٨-١١٧/١

يوسف في أول الأمر واستعصم ، وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف؛ ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة . .

فذكر طرفي الموقف بين الاعتصام في أوله والاعتصام في نهايته ، مع الإلمام بلحظة الضعف بينهما ، ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعاً .

ثم يقول : هذا ما خطر لنا ونحن نواجه النصوص ، ونتصور الظروف . وهو أقرب إلى الطبيعة البشرية وإلى العصمة النبوية . وما كان يوسف سوى بشر . نعم إنه بشر مختار . ومن ثم لم يتجاوز همه الميل النفسي في لحظة من اللحظات . فلما أن رأى برهان ربه الذي نبض في ضميره وقلبه ، بعد لحظة الضعف الطارئة ، عاد إلى الاعتصام والتأبي[1]

هذا ،وقد ذكر المفسرون أن القرآن الكريم بين براءة يوسف عليه والسلام من الوقوع في المعصية ،حيث بين شهادة كل من له تعلق بالمسألة ببراءته ، وشهادة الله له بذلك واعتراف إبليس به :

أما شهادة يوسف لنفسه بالبراءة فقوله عليه السلام : { هِيَ راودتني عَن نَّفْسِي } يوسف ٢٦ وقوله عليه السلام : { رَبِّ السجن أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يدعونني إِلَيْهِ } يوسف ٣٣

وأما اعتراف المرأة فلأنها قالت للنسوة : { وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِه فاستعصم } يوسف ٣٢ وأيضاً قالت : { قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ } يوسف ٥١

وأما شهادة زوج المرأة ببراءة يوسف ، فهو قوله : { إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا واستغفري لِذَنبِكِ } يوسف : ٢٨ ، ٢٩

وأما تبرئة الشهود ففي قوله تعالى : { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكاذبين } يوسف ٢٦

---

[1] في ظلال القرآن ١٩٨١/٤

وأما شهادة الله تعالى ببراءته ففي قوله بذلك فقوله : { كذلك لِنَصْرِفَ عَنْهُ السوء والفحشاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المخلصين } يوسف :٢٤ فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات : أولها : قوله : { لِنَصْرِفَ عَنْهُ السوء } واللام للتأكيد والمبالغة . والثاني : قوله : { والفحشاء } أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء . والثالث : قوله : { إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا } مع أنه تعالى قال : { وَعِبَادُ الرحمن الذين يَمْشُونَ على الأرض هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجاهلون قَالُواْ سَلاَماً } [الفرقان : ٦٣] والرابع : قوله : { المخلصين }

ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته ، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزهاً عما أضافوه إليه ،

وأما إقرار إبليس بطهارة يوسف ونزاهته ففي قوله تعالى{ فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين } [ص : ٨٢ ، ٨٣] فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى : { إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المخلصين } فكان هذا إقراراً من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى ،

يقول الرازي بعد هذه البراءات :وعند هذا نقول لهؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة : إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته [1]

[٥] موسى عليه السلام

نفذت الشبهة إلى عصمة موسى من خلال آيتين:

الأولى : قوله تعالى {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ----- رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ }يونس٨٨

[1] التفسير الكبير ١٢٢/١٣،١٢١،وانظر أضواء البيان للشنقيطي ٦٧/٣-٦٩

في هذه الآية يدعو موسى على فرعون وخاصته الذين صدوا عن سبيل الله وتجـرؤوا على محارمه وأضلوا عباده ،وقابلوا نعم الله بالجحود والنكران ، يدعو علـيهم بتلـف الأموال وسحقها والطبع على القلوب وزيادة قسوتها حتى لا يصل إليها الإيمان ،فينالهم العذاب الشديد .

وإذا كانت مهمة الأنبياء هي هداية الناس إلى الإيمان ودعوتهم إلى الخير والحق ،فكيف يتفق ذلك مع دعوة موسى على قومه بعدم الإيمان المفضي إلى العذاب ؟!

وقد أجاب العلماء على هذا الإشكال بأن موسى إنما دعا عليهم بهذا الدعاء لما أيس من إيمانهم وعلم بالوحي أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لا يؤمنون ,ذلك أن الله تعالى كتب عليهم في الأزل أنهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم ، كما أعلم الله نوحاً عليه السلام بأنه لا يؤمن من قومه إلا من قد آمن ، قال : { رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأرض مِنَ الكافرين دَيَّاراً } [نوح : ٢٦] (٢)

يقول ابن كثير : " وهذه الدعوة كانت من موسى – عليه السلام – غـضبا لله ولدينـه على فرعون وملئه ، الذين تبين له أنه لا خير فيهم ، ولا يجيء منهم شيء كما دعـا نوح – عليه السلام – على قومه فقال : { رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأرض مِنَ الكافرين دَيَّاراً . . } ولهذا استجاب الله – تعالى – لموسى – عليه السلام – فيهم هذه الدعوة. . "(٣)

هذا،وقد ذكر بعض العلماء أن الدعاء على الجاحدين لأنعم الله والمضلين والمفسدين بها في الأرض ،من دلائل الإيمان وأمارات اليقين ، يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: إن من علامات الإيمان الصادق أن يكون الإنسان غيورا على دين الله ، ومن مظاهر هذه الغيرة أن يتمنى زوال النعمة من بين أيدي المصرين على جحودهم وفسوقهم وبطرهم لأن وجود النعم بين أيديهم كثيرا ما يكون سببا في إيذاء المـؤمنين ، وإدخـال القلـق والحيرة على نفوس بعضهم . (١)

---

(٢) انظر :تفسير الخازن ٢٦٦/٣، وتفسير النسفي ٣٨/٢،وتفسير الشوكاني ٦٧٩/٢

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٩٠/٤

(١) التفسير الوسيط ١٢٣/٧

الآية الثانية: قوله تعالى {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا ------- مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ . قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }القصص١٥- ١٦

تتحدث الآية أن موسى عليه السلام دخل المدينة – مصر- مختفيا ، فوجد فيها رجلين يقتتلان : أحدهما من شيعته من بني إسرائيل ، والآخر من قوم فرعون ، فاستعان به الإسرائيلي على خصمه فأعانه موسى ، وضرب الخصم بجُمْع كفِّه فمات بقبضة يده فقتله من غير قصد . ثم أسف موسى،وتضرع إلى الله مستغفرا فغفر له إنه غفور رحيم وإقدام موسى على قتل الرجل المصري قد يؤخذ عليه لأنه يتنافى مع عصمته كنبي

و أجيب على ذلك بأمرين :

الأول : أن هذا القتل وقع خطأ من غير قصد أو تعمد من موسى عليه السلام ،فما قصده موسى هو مجرد المعونة والإغاثة لا القتل ولذلك فهو يستغفر ربه بعدها .

قلت :ويدل على عدم تعمده قوله تعالى في سورة الشعراء {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ } آية ٢٠

الثاني : أن هذا الفعل وقع منه عليه السلام قبل النبوة كما هو ظاهر قوله تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء : { فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لي رَبّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ المرسلين } الشعراء ٢١ ، وسواء وقع هذا الفعل من موسى عليه السلام قبل النبوة أو بعدها فإنه لا يقدح في عصمته لأنه لم يتعمده ،وكل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون .

[٦] داود عليه السلام

يقول سبحانه {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ.إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاط .إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا

وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ .فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ }ص ٢١-٢٥

تتحدث هذه الآيات عن أحد المواقف التي يبتلى فيها أنبياء الله تعالى ،وهذا الموقف مع نبي الله داود عليه السلام ،حيث كان في مكان وزمان عبادته وخلوته مع ربه تعالى ،وكان عليه السلام – كما روي عن ابن عباس – قد جعل لنفسه: يوماً للعبادة ، ويوماً للقضاء ، ويوماً للوعظ ، ويوماً للاشتغال بخاصة نفسه ، فدخل علي المحراب خصمان متسورَيْن أي من سور المحراب لا من بابه ، فخاف منهما ، فطمأناه أنهما جاءا إليه ليقضي بينهما بالعدل .

فقال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون من النعاج ، ولى نعجة واحدة فقال : اجعلني كافلها كما أكفل ما تحت يدي ، وغلبني بحجته.

قال داود – قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر – : لقد ظلمك بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض ، إلا المؤمنين الصالحين، فلا يبغي بعضهم على بعض، وهم قلة نادرة ، وعرف داود أنه فتن بهذه الخصومة فاستغفر ربه ، وانحنى راكعاً لله ورجع إليه خاشعا خاضعا

نسب البعض إلى داود عليه السلام وقوعه في المعصية ،ولكن ما هذه المعصية ؟ وهل تتنافى مع عصمة الأنبياء أم لا ؟

ذكر العلماء فِي الذَّنْبِ الَّذِي اسْتَغْفَرَ مِنْهُ داود أقوالا :

– منها – وهو ما قال به كثير من المفسرين – أن معصيته هي تسرعه في الحكم بعد سماع طرف واحد في الخصومة دون أن يستمع إلى الآخر

واعترض على ذلك بأن سماعه للطرف الآخر أمر معروف عقلا لا يحتاج إلى بيان

جاء في تفسير الكشاف :فإن قلت : كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه؟ قلت : ما قال ذلك إلاّ بعد اعتراف صاحبه ، لكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم [1]

وقال ابن العربي: وهذا مما لا يجوز عند أحد، ولا في ملة من الملل، ولا يمكن ذلك للبشر.

وإنما تقدير الكلام أن أحد الخصمين ادعى والآخر سلم في الدعوى، فوقعت بعد ذلك الفتوى. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضى لأحدهما حتى تسمع من الآخر " [2]

وفي التفسير الوسيط : لم يصرح القرآن بأن داود – عليه السلام – قد قال حكمه بعد سماع كلام المدعى عليه ، لأنه مقرر ومعروف في كل الشرائع ، وحذف ما هو مقرر ومعلوم جائز عند كل ذي عقل سليم [3]

– ومنها أن معصيته هي فزعه وخوفه الشديد من الخصمين ،وهذا لا يليق به وهو في معية الله .

ويعترض على ذلك بأن عادة بني إسرائيل قتل أنبيائهم ،وقد خاف من قبله الأنبياء بسبب ذلك

يقول القرطبي : فإن قيل : لم فزع داود وهو نبي ، وقد قويت نفسه بالنبوة واطمأنت بالوحي ، ووثقت بما آتاه الله من المنزلة ، وأظهر على يديه من الآيات ، وكان من الشجاعة في غاية المكانة؟

قيل له : ذلك سبيل الأنبياء قبله ، لم يأمنوا القتل والأذية ، ومنهما كان يخاف .

---

[1] الكشاف ٢٥٨/٥

[2] أحكام القرآن ٥٥/٤ ،والحديث في سنن أبي داود كتاب الأقضية رقم٣٥٨٢-٣٠١/٣

[3] التفسير الوسيط د محمد سيد طنطاوي ١٤٧/١٢

ألا ترى إلى موسى وهارون – عليهما السلام – كيف قالا : { إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يطغى } – أي : فرعون – ، فقال الله لهما : { لاَ تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وأرى } وقالت الرسل للوط: " لا تخف.[٤]

– ويرى بعض المفسرين أن الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره اللّه لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه اللّه علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها.[٥]

ولعل الرأي الأول – والله أعلم – هو الأقرب إلى الصواب لأنه يناسب ما جاء بعد هذه الآيات من قوله تعالى {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }ص٢٦ ،ولأنه يناسب كذلك مهمة داود عليه السلام وهي كونه ملكا يقضي بين الناس بالعدل

فلا ينبغي أن يتسرع أو يندفع حتى يكون حكمه صائبا صحيحا حتى يكون قدوة للملوك والحكام من بعده ، كما أن ذلك القول لا يطعن في عصمة الأنبياء لأنه من غير قصد أو تعمد

كذب وافتراء

ذخرت كتب التفسير بالروايات الإسرائيلية التي نسجت حول هذه الفتنة ، ونسبت إلى داود عليه السلام ما لا يليق بالصالحين فضلا عن الأنبياء ،حيث جعلت هذه الروايات ذنب داود الذي استغفر منه هو سعيه في قتل أحد قواده طمعا في زوجته .،مع أن داود له من الزوجات الكثير ،فجاءه الخصمان ،وهما ملكان في صورة رجلين وعرضا عليه قضيتهما فتنبه داود عليه السلام إلى أنه هو المقصود من هذا التحاكم ،فاستغفر الله ورجع وتاب إليه .

---

[٤] الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٧٠

[٥] تيسير الكريم المنان للسعدي ١/٧١١

أقول :إن هذا الافتراء لا يجوز على داود بحال من الأحوال لأنه لا يتصور أن يصطفي الله نبيا يدعو الناس إلى عبادة الله وصراطه المستقيم ثم يكون هم هذا النبي الشهوة والنساء ،وكيف يستقيم ذلك مع داود عليه السلام وقد وصفه الله قبل القصة وبعدها بصفات يستحيل معها أن يقوم من اتصف بها بفعل صغيرة من الصغائر بله كبيرة من الكبائر

أما صفاته قبل القصة

- أمر النبي محمد باتباعه ويكفي هذا دليلا على براءته عليه السلام مما نسب إليه في الروايات المختلقة

- القوة والمراد بها القوة في الدين ، لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في غيره من ملوك الكفار .

- كثرة الرجوع إلى الله تعالى،وإذا كان داود كثير الرجوع إلى الله فكيف يسعى في القتل والفجور .

- الحكمة وهي اسم جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً ، فكيف يجوز أن يقول الله تعالى : إنا { ءاتيناه الحكمة وَفَصْلَ الخطاب } مع إصراره على ما يستنكف عنه الخبيث الشيطان .

- فصل الخطاب وهو حسن القضاء والبصيرة فيه ، وتمييز الحق من الباطل .

وهذه الصفات وردت في قوله تعالى {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ }ص١٧ وقوله تعالى : { وءاتيناه الحكمة وَفَصْلَ الخطاب } ص٢٠

وأما صفاته بعد القصة فقد وردت في قوله تعالى { وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب } وقوله تعالى : { يا داود إِنَّا جعلناك خَلِيفَةً في الأرض } .

فلا يعقل فيمن تكون هذه مهمته وذلك جزاءه أن يقدم على هذا الذنب العظيم أو أن يفكر فيه أصلا ،فإن عقل من آحاد الناس فلا يعقل من نبي معصوم وملك جهبذ .

وإذا كان داود عليه السلام على هذا النحو العظيم من الصفات الكريمة والمزايا العظيمة التي شهد له بها رب العالمين،فهل يمكن أن يجرؤ على ذلك إلا من اعتاد قتل الأنبياء فيكون سبهم وطعنهم أيسر وأسهل ولذلك يروى أن عليا بن أبي طالب علي رضي الله عنه قال: من حدثكم بحديث داود عليه السلام ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين "[1] وهو حد الفرية على الأنبياء.

وفي رواية أخرى: لَا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ أَنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ ارْتَكَبَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ مُحَرَّمًا إِلَّا جَلَدْتُه مِائَةً وَسِتِّينَ سَوْطًا ، فَإِنَّهُ يُضَاعَفُ لَهُ الْحَدُّ [2] .

[٧] سليمان عليه السلام

يقول الله تعالى { وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }ص٣٠{إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ . فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ . رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ . وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ . قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ }ص٣١-٣٥

هذه الآيات تقص من أخبار سليمان عليه السلام أنه عرضت عليه بعد الظهر الخيل الأصيلة ليعرف أحوالها ومدى صلاحيتها للجهاد في سبيل الله ، فظَلَّ يَنْظُرُ إِلَيها معجبا بها ، وانشغل عن الصلاة حتى غابت الشَّمْسُ ، فأمر بردها وأَخَذَ يَمْسَحُ سُوقَهَا وَأَعْنَاقَهَا بِيَدَيْهِ حبا لها وإعجابا بها .

ثم يخبر الله تعالى أنه اختبر سليمان حتى لا يغتر بأبّهة الملك وألقى على كرسيه جسداً لا حياة فيه ،ولا يستطيع تدبير الأمور ، فتنبه إلى هذا الاختبار فرجع إلى الله تعالى منيبا تائبا .

وَقِيلَ أيضا – وهو رأي كثير من المفسرين – : إنه لما انشغل عن الصلاة بسبب الخيل طلب ردها إليه ثم أمر بذبحها وقطع أرجلها تقرّباً إلى الله تعالى وتصدّق بلحمها

---

[1] التفسير الكبير ١٩٢/٢٦،وتفسير الخازن ٢٧٥/٥

[2] أحكام القرآن لابن العربي ٥٧/٤

فعوّضه الله تعالى خيراً منها وأسرع ، وهي الريح تجري حسبما شاء ، إلى أي جهة قصد .

هذا هو معنى الآيات كما ورد في كتب التفسير ،إلا أن ثمة إشكالين يتعلقان بعصمة الأنبياء

الأول : كيف ينشغل النبي عن طاعة ربه بهذه الأمور الدنيوية ؟

الثاني :ما حقيقة فتنة سليمان،ولماذا أناب واستغفر بعدها ؟

أما الإجابة على الإشكال الأول فتظهر في كلام الفخر الرازي حيث يقول :

الصواب أن نقول إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم كما أنه كذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم إن سليمان عليه السلام احتاج إلى الغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها ، وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس ، وإنما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله "عن ذكر ربي " ، ثم إنه عليه السلام أمر بإعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ، ثم أمر الرائضين بأن يردوا تلك الخيل إليه فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها ، ..تشريفاً لها وإبانة لعزتها، لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو .[1]

ويفهم من هذا الكلام :

أن معنى " أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي " أي أحببت الخيل من أجل طاعة الله ،فتكون

"عن " هنا تعليلية، ويكون عود الضمير في قوله "توارت بالحجاب " إلى "الصافنات الجياد "

ويكون المقصود بالحجاب هو الظلام الذي يحجب الرؤية ،ويتأكد بذلك معنى المسح على التكريم والتشريف ،وتخلو الآية على هذا التأويل من إضاعة الصلاة والانشغال

---

[1] التفسير الكبير ٢٠٦/٢٦

عن الطاعة ،كما تخلو كذلك من قتل الخيل بغير ذنب والذي لم يقبل روايته الطبري والرازي وابن حزم كذلك.

وقال بعض العلماء نقلا عن ابن حزم : تأويل الآية على أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة ، خرافة موضوعة . . قد جمعت أفانين من القول؛ لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها . وإتلاف مال منتفع به بلا معنى . ونسبة تضييع الصلاة إلى نبي مرسل . ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها . .

وإنما معنى الآية أنه أخبر أنه أحب حب الخير ، من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس أو تلك الصافنات بحجابها .

ثم أمر بردها . فطفق مسحا بسوقها وأعناقها بيده ، برا بها ، وإكراما لها ، هذا هو ظاهر الآية الذى لا يحتمل غيره ، وليس فيها إشارة أصلا إلى ما ذكروه من قتل الخيل ، وتعطيل الصلاة

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي : هذا هو التفسير الذي تطمئن إليه نفوسنا لهذه الآيات ، لخلوه من كل ما يتنافى مع سمو منزلة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – .

..وما ذهب إليه كثير من المفسرين من أن سليمان – عليه السلام – شغل باستعراض الخيل عن صلاة العصر ، وأنه أمر بضرب سوقها وأعناقها . . لا دليل عليه لا من النقل الصحيح ولا من العقل السليم . [٢]

– أما الإجابة على الإشكال الثاني فقد وردت في السنة الصحيحة ،وهي أظهر ما جاء في ذلك عند جماعة من المفسرين[١]،فقد روى البخاري ومسلم أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ سُلَيْمَانُ لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا

---

[٢] التفسير الوسيط ١٥٩/١٢-١٦١

[١] انظر تفسير البيضاوي ٣١٢/٢ ،وتفسير أبي السعود ٣٦٢/٥، وتفسير الألوسي ١٩٨/٢٣

فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ وَايْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ [٢]

واستنبط العلماء من هذه الرواية أن الفتنة هي نسيان سليمان تقديم المشيئة , وأن المراد بالجسد ذلك الشق الذي ولدته له ، ومعنى إلقائه على كرسيه : وضع القابلة لـــه عليـــه ليراه .

وقد أخذ العلماء من هذا الحديث أن فتنة سليمان ، هي تركه تعليق ما طلبه على مشيئة الله ، وأن عقابه على ذلك كان عدم تحقق ما طلب .

وهذا الرأي هو أقرب الآراء إلى الصواب في تفسير الآية الكريمة لأنه " مـــستند إلـــى حديث صحيح ثابت فى الصحيحين وفى غيرهما ، ولأنه يتناسب مع عصمة الأنبيـــاء وسمو منزلتهم ، فإن النسيان الذى لا يترتب عليه ترك شئ من التكاليف التي كلفهم الله – تعالى – بها جائز عليهم . [٣]

وأما ما روي من أن الشيطان أخذ خاتم سليمان ، وجلس على كرسيه وطرد ســـليمان إلى آخره فقول باطل ويتعارض مع قوله تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتبعك مِنَ الغاوين } [الحجر : ٤٢] ،وغير ذلك من الروايات الباطلة التي تتنافي من عصمة الأنبياء ،فإنها من أباطيل اليهود ،وإن زخرت بها كتب التفسير

[٨] يونس عليه السلام

يقول الله تعالى {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فنادى فِي الظُّلُمَـــاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }الأنبياء٨٧

تحكي الآية عن يونس عليه السلام وابتلائه حين رحل عن قومه لإعراضهم عنه دون أن يأذن الله له ،ثم اعترافه بخطئه وتوبته إلى الله تعالى .

وفي الآية ثلاثة إشكالات تتعلق بعصمة الأنبياء :

أولها :خرج يونس عليه السلام مغاضبا لمن لربه أم لقومه ؟

---

[٢] البخاري كتاب الأيمان والنذور، رقم ٦٢٦٣-٢٤٤٧/٦،ومسلم كتاب الأيمان رقم ١٦٥٤-١٢٧٦/٣

[٣] التفسير الوسيط ١٦٢/١٢

ثانيها :هل المراد من قوله " فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ " أنه شك في قدرة الله تعالى ؟
ثالثها:هل يدل قوله تعالى " إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " على ارتكاب المعصية ؟
وللإجابة على الإشكال الأول فإن أكثر المفسرين على أن المغاضبة من يونس كانت لقومه ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العذاب عليهم عندها[١]

ومنهم من قال بأن المعنى : مغاضبا لربه ، فالمراد لأجل ربه [٢]؛ لأن مغاضبة الله من أعظم الكبائر ولا يمكن أن يجرؤ عليها نبي

ومنهم قال بأن معنى " مُغَاضِباً " أي : غضبان على قومه ، فالمفاعلة ليست على بابها فلا مشاركة وربما تكون من واحد كعاقبت وسافرت[٣].

وللإجابة على الإشكال الثاني فقوله تعالى " نقدر " ليس من القدرة ،ولكن من القدر أي الضيق ،والمعنى :ظن يونس أن لَنْ يضَيِّقَ الله عَلَيْهِ بِحُبْسٍ أَوْ نَحْوِهِ .

ومن إطلاق « قدر » بمعنى « ضيق » في القرآن قوله تعالى : { الله يَبْسُطُ الرزق لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ } الرعد ٢٦ أي ويضيق ، وقوله تعالى : { لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ آتَاهُ الله } الطلاق ٧ وقوله تعالى : { وَأَمَّآ إِذَا مَا ابتلاه فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} الفجر١٦ أى : ضيقه عليه

وعن ابن عباس : أنه دخل على معاوية فقال : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها ، فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك . قال : وما هي يا معاوية ، فقرأ هذه الآية وقال : أو يظن نبيّ الله أن لا يقدر عليه؟ قال : هذا من القدر لا من القدرة [٤]

وقد يكون معنى { أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ } لن نقضي عليه ذلك ، وعليه فهو من القدر والقضاء [٥]

---

[١] انظر تفسير الزمخشري ١٦١/٤، وتفسير البيضاوي ٧٧/٢، وتفسير أبي السعود ٣٥٤/٤
[٢] زاد المسير لابن الجوزي٣٨١/٥
[٣] انظر :زاد المسير لابن الجوزي٣٨١/٥،وحاشية الجمل على الجلالين ١٥٧/٥
[٤] الكشاف للزمخشري ١٦١/٤
[٥] أضواء البيان للشنقيطي ٨٥٤/٤

أما قول من قال : إن { أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ } من القدرة فهو قول باطل بلا شك ؛ لأنه يتنافى مع عصمة الأنبياء فلا يشك في قدرة الله أحد فضلا عن الأنبياء .

أما الإجابة على الإشكال الثالث فإن معنى قوله من الظالمين " أي ظالم لنفسه بتعجله في الخروج من قومه من غير أن يأذن الله له ظنا من أن الله يبيح له هجرانهم ، فلم يتعمد الخطأ، وأناب إلى ربه فعفا عنه ونجاه

[٩] أيوب عليه السلام

يقول الله تعالى { وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ }ص ٤١

قد يفهم من الآية أن الشيطان له تأثيره على الأنبياء بالضرر والإيذاء ،والصواب أن أيوب عليه السلام راعى الأدب مع الله ونسب ما مسه من ألم وعذاب إلى الشيطان تأدبا منه مع ربه – عز وجل – حيث لم ينسب إليه الضر ، مع أنه جل وعلا فاعله ولا يقدر عليه إلا هو ،والكل من خلقه سبحانه .

وإن كان هناك مس من الشيطان فمعناه أن الشيطان يوسوس لخلصائه القلائل الذين بقوا على وفائهم له ومنهم زوجته بأن الله لو كان يحب أيوب ما ابتلاه ، وكانوا يحدثونه بهذا فيؤذيه في نفسه أشد مما يؤذيه الضر والبلاء .

أما الروايات المبالغة في وصف ابتلاء أيوب ومدة مرضه والتي تناثرت في كتب التفسير فإنها أقوال باطلة ، لأن الله تعالى خص الأنبياء –فيما خصهم به – بحفظهم من الأمراض المنفرة جسدية أو عصبية أو نفسية ،وكذلك التشويه الجسدي المشين ،فهم وإن كانوا من البشر تصيبهم العوارض التي تصيب البشر إلا أن الله عز وجل قد صانهم من العيوب المنفرة وسلمهم من الأمراض الشائنة التي تنفر النفوس منهم [١]

[١٠] محمد عليه السلام

[١] انظر : التفسير الوسيط ١٥٩/١٢،والنبوة والأنبياء ص ٤٨

في القرآن مجموعة من الآيات التي توهم بوقوع النبي ﷺ في المخالفات التي عاتبه الله عليه،وهذه الآيات :

١- قوله تعالى {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }الأنفال٦٧- ٦٨

قد يفهم من هذه الآية أن عتاب الله لرسوله جاء نتيجة مخالفة أمر الله في التعامل مع أسرى غزوة بدر .

غير أن الوقوف على سبب النزول - والمذكور في صحيح السنة - ليبين أن النبي فعل ما فعله مع الأسرى بعد مشورة أصحابه ،وليس فيه مخالفة أو معصية ،وإنما هو اجتهاد لم يقره الله تعالى عليه .

فقد روى مسلم في صحيحه عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ :

لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ..

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أُرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ قُلْتُ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا .

فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا ، قُلْتُ فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتُ يَا رَسُولَ

اللَّه أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ{ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا }فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ[1]

فواضح من هذه الرواية أن النبي استشار أصحابه ثم استهواه رأي أبي بكر ، فليس في الأمر مخالفة أو معصية ،ومما يدل على ذلك أن الله تعالى أعقب هذه الآية بقوله تعالى { لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }الأنفال٦٨ أي: لولا حكم سابق من اللَّه بالعفو عن المجتهد المخطئ لأصابكم فيما أخذتم عذاب كبير بسبب ما تعجلتم به قبل أن ينزل بشأنه تشريع.

وغزوة بدر أول الغزوات وأعظمها فلا بد وأن يكون فيها إثبات الوجود وإظهار القوة إعزازا للمؤمنين وإذلالا للمشركين ،ولذلك يقول ابن عباس: قوله تعالى "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ " ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الأسارى:(فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً)، [سورة محمد: ٤]، فجعل الله النبيَّ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار، إن شاءوا قتلوهم، وإن شاءوا استعبدوهم، وإن شاءوا فادَوْهم. [1]

٢- قوله تعالى {عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ } التوبة٤٣

يعاتب الله تعالى نبيه في إذنه للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك ،وكان ينبغي عدم الإذن لأحد حتى يتميز بذلك الصادق من الكاذب .

وقد أشكلت هذه الآية على بعض العلماء حتى قال الزمخشري: قوله { عَفَا الله عَنكَ } كناية عن الجناية ، لأن العفو رادف لها . ومعناه : أخطأت وبئس ما فعلت . و { لِمَ

---

[1] مسلم كتاب الجهاد والسير رقم ١٧٦٣-١٣٨٣/٣

[1] تفسير الطبري ٦٠/١٤

أَذِنتَ لَهُمْ } بيان لما كنى عنه بالعفو . ومعناه : مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلاّ استأنيت بالإذن { حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ } من صدق في عذره ممن كذب فيه[٢]

وما ذهب إليه الزمخشري رده عليه العلماء متهمين إياه بإساءة الأدب مع النبي ﷺ والتجرؤ عليه .

يقول أبو السعود : ولقد أخطأ وأساء الأدبَ وبئسما فعل فيما قال وكتب مَنْ زعم أن الكلام كنايةٌ عن الجناية وأن معناه أخطأتَ وبئسما فعلتَ ، هبْ أنه كنايةٌ أليس إيثارُها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيفِ في العتاب [٣]

ويقول ابن المنير : ليس له – أي الزمخشرى : – أن يفسر هذه الآية بهذا التفسير ، وهو بين أحد أمرين : إما أن لا يكون هو المراد وإما أن يكون هو المراد ، ولكن قد أحل الله نبيه الكريم عن مخاطبته بصريح العتب ، وخصوصاً في حق المصطفى – عليه الصلاة والسلام – فالزمخشرى على كلا التقديرين ذهل عما يجب فئ حقه – صلى الله عليه وسلم – [٤]

ويقول الأستاذ محمد رشيد رضا :إن بعض المفسرين ولاسيما الزمخشري قد أساءوا الأدب في التعبير عن عفو الله تعالى عن رسوله في هذه الآية ،وكان يجب أن يتعلموا منها أعلى الأدب معه صلوات اله وسلامه عليه إذ أخبره ربه ومؤدبه بالعفو قبل الذنب ،وهو منتهى التكريم واللطف [٥]

والرأي الذي عليه جمهور المفسرين أن الله عاتب نبيه على فعل ما هو خلاف الأولى،لأنه صلى الله عليه وسلم كان ينبغي عليه ألا يأذن للمنافقين في التخلف عن الجهاد حتى يتبين أمرهم ويعلم صادقهم من كاذبهم.

---

[٢] الكشاف ٤٨/٣
[٣] إرشاد العقل السليم ١٥٤/٣
[٤] الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ١٩٢/٢
[٥] تفسير المنار ٤٠٨/١٠

يقول الألوسي : وهذا عتاب لطيف من اللطيف الخبير سبحانه لحبيبه صلى الله عليه وسلم على ترك الأولى وهو التوقف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال المشار إليه بقوله سبحانه : { حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ الذين صَدَقُواْ } أي فيما أخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة { وَتَعْلَمَ الكاذبين } أي في ذلك .[1]

بل وبالغ بعض المفسرين ورأي أن الآية ليس فيها إشارة إلى العتاب فضلا عن وقوع الذنب

إنما تدل على المبالغة في التعظيم والتبجيل ،فقولنا : عافاك الله وغفر لك وما شابه ذلك كل هذه الألفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به

يقول الرازي : لا نسلم أن قوله : { عَفَا الله عَنكَ } يوجب الذنب ، ولم لا يجوز أن يقال : إن ذلك يدل على مبالغة الله في تعظيمه وتوقيره ، كما يقول الرجل لغيره إذا كان معظماً عنده ، عفا الله عنك ما صنعت في أمري ورضي الله عنك ، ما جوابك عن كلامي؟ وعافاك الله ما عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام ، إلا مزيد التبجيل والتعظيم [2]

إذن فهذه الآية لا تدل على وقوع الذنب من النبي ،وغاية ما يقال أن الإذن المعاتب عليه " كان اجتهاداً منه – صلى الله عليه وسلم – فيما لا نص فيه من الوحي ، وهو جائز وواقع من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . وليسوا بمعصومين من الخطأ فيه ، وإنما العصمة المتفق

عليها خاصة بتبليغ الوحي ببيانه والعمل به ، فيستحيل على الرسول أن يكذب أو أن يخطئ في ما يبلغه عن ربه أو يخالفه بالعمل ." [3]

---

[1] روح المعاني ١٠٧/١٠
[2] التفسير الكبير ٧٦/١٦
[3] تفسير المنار ٤٠٨/١٠

كما أنه لا يخفى مدى لطف الله تعالى بنبيه وذلك من تقديم العفو قبل العتاب ،وفيه إشارة إلى منزلة النبي – صلى الله عليه وسلم – عند ربه ، قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب [٤]

٣- قوله تعالى{ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }يونس٩٤

ظاهر هذه الآية يوهم بتطرق الشك إلى قلب النبي فيما يوحى إليه ،فمعناها القريب أنه إن كَانَ فِي نَفْسِكَ – يا محمد – شَكٌّ ، فيما أنزلنا إليك من وحى ، فاسأل أهل الكتب السابقة المنزلة على أنبيائهم ، تجد عندهم الجواب القاطع الموافق لما أنزلنا عليك وَحِينَئِذٍ تَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّ الذِي جَاءَكَ مِنْ رَبِّكِ هُوَ الحق ، فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الشاكِّين في صحة ذلك وحقيقته.

والآية على هذا المعنى تقدح في عصمة النبي لأنها تنسب إليه الشك في القرآن .

والشك في القرآن أمر غير وارد بحال من الأحوال جملة وتفصيلا على المؤمنين المخلصين بله النبي الأمين الذي كان قرآنا يمشي على الأرض ،فالشك أمر ترده حياة النبي وسيرته قولا وعملا وتطبيقا لأحكام القرآن الكريم ،ولذلك فإن الظاهر من ألفاظ الآية ليس هو مراد الآية كما قال بذلك عامة المفسرين ،وذكروا في مراد الآية أقوالا :

أولها :أن المقصود من قوله تعالى " فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ " أي على سبيل الفرْض والتقدير لا على سبيل الثبوت . يقول الزمخشري :

فإن قلت : كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : { فَإِن كُنتَ في شَكّ مّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ } مع قوله في الكفرة : { وَإِنَّهُمْ لفي شَكّ مّنْهُ مُرِيبٍ } .

قلت : فرق عظيم بين قوله : { إِنَّهُمْ لفي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ } بإثبات الشكّ لهم على سبيل التأكيد والتحقيق ، وبين قوله : { فَإِن كُنتَ فِي شَكّ } بمعنى الفرض والتمثيل .

[٤] معالم التنزيل للبغوي ٥٥/٤

كأنه قيل : فإن وقع لك شك مثلاً وخيّل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً { فَاسْأَلِ الذين يَقْرَؤونَ الكتاب } والمعنى : أنّ الله عزّ وجلّ قدم ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب ، ووصفهم بأنّ العلم قد جاءهم ، لأنّ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوّة محمد عليه الصلاة و السلام ، ويبالغ في ذلك ، فقال : فإن وقع لك شكّ فرضاً وتقديراً ..فسل علماء أهل الكتاب ، يعني : أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلاً عن غيرك ، فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الله إلى رسول الله ، لا وصف رسول الله بالشكّ فيه[1]

و نظير هذه الآية قوله تعالى في شأن عيسى – عليه السلام – {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ }المائدة١١٦ ، فسؤال الله تعالى لعيسى لتبرئته وقول عيسى" إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ " أي : إن كنت قلته – على سبيل الفرض والتقدير – فقولي هذا لا يخفى عليك فأنت تعلم ما في نفسي فكيف بقولي وعملي ، لأن عيسى – عليه السلام – يعلم يقينا أنه لم يقل ذلك ، وإنما يفرض قوله فرضا استدلالا على براءته .

ثانيها :أن الخطاب في الآية للنبي ﷺ والمراد به غيره فهو كقوله " لئن أشركت ليحبطن عملك "الزمر٦٥ ، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت أن المراد به غيره ومن أمثلة العرب :إياك أعني واسمعي يا جارة .

فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد : يا أيها الإنسان إن كنت في شك مما أنزلنا إليك على لسان رسولنا صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين يقرؤون الكتاب يخبروك

[1] الكشاف ١٧٣/٣

بصحته ، ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة" قل يا أيها الناس إن كنتم في شك في ديني " يونس١٠٤ ، فبين أن المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز وهو المذكور في تلك الآية على سبيل التصريح [١]

ثالثها :أن الخطاب في الآية ليس للنبي أصلا ووجه هذا القول أن الناس في زمانه كانوا فرقاً ثلاثة ، المصدقون به والمكذبون له والمتوقفون في أمره الشاكون فيه ، فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال : إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته ، وإنما وحد الله تعالى ذلك وهو يريد الجمع ، كما في قوله : { يا أيها الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم * الذى خَلَقَكَ } الانفطار ٦ ، ٧ و { يأَيُّهَا
الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ } الانشقاق ٦ ولم يرد في جميع هذه الآيات إنساناً بعينه ، بل المراد هو الجماعة[٢]

قلت: على أي وجه توجه إليه الآية فإن النبي بعيد من الشك؛ وبرئ منه لأنه عين اليقين ، وهو الذي علَّم الناس اليقين ولذلك قال عليه الصلاة والسلام « لا أسْأَلُ أحَداً ، وَلا أشُكُّ فِيهِ ، بَلْ أشْهَدُ أنَهُ الحَقُّ » فمراد الآية تطمين النبي وتثبيت قلبه بأن أمر بعثته معروف عند أهل الكتاب وهم من يشهد لهم قومه بالعلم ،ولذا فكان ينبغي على قومه أن يصدقوه ويؤمنوا به

٤- قوله تعالى{وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً . وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً }الإسراء ٧٣-٧٤

تشير الآية إلى محاولات المشركين الكثيرة لصرف النبي ﷺ عن القرآن الذي أنزله الله إليك

ولولا تثبيت الله له وعصمته إياه لقارب أن يميل إليهم لشدّة احتيالهم وإلحاحهم .

---

[١] انظر تفسير الخازن ٣٧٣/٣

[٢] انظر التفسير الكبير للرازي ١٦٩/١٧،ولباب التأويل للخازن ٢٧٣/٣

وفي الآية إشكالان متعلقان بعصمة الأنبياء :

الأول : أن الآية دلت على أنه عليه السلام قرب من أن يفتري على الله ، والفرية على الله من أعظم الذنوب .

والثاني : أنها تدل على أنه لولا أن الله تعالى ثبته وعصمه لقرب من أن يركن إلى دينهم ويميل إلى مذهبهم .

يقول الرازي في الجواب على الوجهين :

الجواب عن الأول : أن " كاد " معناه المقاربة فكان معنى الآية أنه قرب وقوعه في الفتنة ، وهذا القدر لا يدل على الوقوع في تلك الفتنة فإنا إذا قلنا كاد الأمير أن يضرب فلاناً لا يفهم منه أنه ضربه .

والجواب عن الثاني : أن كلمة " لولا " تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره ، تقول لولا علي لهلك عمر ، معناه أن وجود علي منع من حصول الهلاك لعمر ، فكذلك ههنا قوله : { وَلَوْلاَ أَن ثبتناك لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ } معناه أنه حصل تثبيت الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان حصول ذلك التثبيت مانعاً من حصول ذلك الركون[١]

قلت : ومما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقارب الركون إلى الكافرين قول ابن عباس – رضي الله عنهما – كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصومًا ، ولكن هذا تعريف للأمة ، لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شئ من أحكام الله – تعالى – وشرائعه[٢]

هذا ، وقد ذكر بعض العلماء أن هذه الآية أوضحت غاية الإيضاح ، براءة نبينا صلى الله عليه وسلم من مقاربة الركون إلى الكفار ، فضلاً عن نفس الركون؛ لأن " لولا " حرف امتناع لوجود ، فمقاربة الركون منعتها " لولا " الامتناعية لوجود التثبيت من الله

---

[١] التفسير الكبير للرازي ٢١/٢٢،٢٣
[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ /٣٠٠

– تعالى – لأكرم خلقه صلى الله عليه وسلم فاتضح يقيناً انتفاء مقاربة الركـــون – أى الميل – ، فضلاً عن الركون نفسه .[٣]

٥– قوله تعالى {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّـقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْـدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَـضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً }الأحزاب٣٧

تتحدث الآية عن قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة زينب بنت جحش ، وما ترتب على هذا الزواج من إبطال لبعض عادات الجاهلية ، حيث زوج النبـــي ﷺ زينب من متبناه زيد بن حارثة ثم استحالت بينهما العشرة لتعاليها عليه فطلقها زيد ،ثم تزوجها النبي ﷺ بأمر الله تعالى ليهدم بذلك تقليدا من تقاليد الجاهلية كان يقضي بتحريم زوجة المتبنى كزوجة الابن من النسب ، فأبطل الله هذه العادة بزواج النبـــي ﷺ مـــن زينب لِيَرْتَفِعَ الحَرَج عَنِ المُسْلِمِينَ مِنْ التزوج بزوجات من كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن وقد نسب إلى النبي ﷺ في هذه الزيجة ما لا يليق بمقامه ولا يناسب عـــصمته ،حيـــث ادعي عليه أنه رأى زينب بعد زواجها من زيد وأحبها ،وسمعته يقـــول بعـــدما رآهـــا "سبحان مقلب القلوب "

وجعلوا المراد من قوله تعالى " وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ " إخفاء حبه لها وإعجابه بها،

وهذا افتراء على النبي صاحب الخلق العظيم .

فالذي عليه أهل التحقيق من العلماء والمفسرين أن الله أعلم نبيه أن زيدا سيطلق زينب ، وأن محمدا سيتزوجها بأمر الله تعالى ،وهذا ما كان يخفيه النبي خوفا من المنافقين

---

[٣] أضواء البيان للشنقيطي ٢/٧٣٤

وغيرهم أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه ،لكن هذا حكم الله وشرعه وقضاؤه فلا تخش سواه وامْضَ فِي الأَمرِ قُدُما لِتُقرِّر شَرْعَ اللهِ عز وجل .

وهذا هو الصواب في معنى الآية ، والذي يدل عليه ظاهرها ومنطوقها ، وهو ما يناسب عصمة النبي ويوافق مقامه الكريم .

يقول ابن العربي :قَوْلُهُ : { وَتُخْفِي فِي نَفْسِك مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ } يَعْنِي مِنْ نِكَاحِك لَهَا . فَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَعْلَمَهُ بِأَنَّهَا تَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِهِ .[1]

ويقول الألوسي : والمراد بالموصول على ما أخرج الحكيم الترمذي وغيره عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما ما أوحى الله تعالى به إليه أن زينب سيطلقها زيد ويتزوجها بعد عليه الصلاة والسلام وإلى هذا ذهب أهل التحقيق من المفسرين [2]

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي : وبه تعلم أن ما قاله بعض المفسرين ، من أن ما أخفاه في نفسه صلى الله عليه وسلم وأبداه الله – تعالى – ، وهو وقوع زينب في قلبه صلى الله عليه وسلم ومحبته لها ، وهى زوجة لزيد ، وأنها سمعته يقول عندما رآها : سبحان مقلب القلوب . . إلى آخر ما قالوا . . كله لا صحة له . [3]

وعند تفسيره لهذه الآية يقول الإمام ابن كثير: ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم – وغيرهما – هاهنا آثارا عن بعض السلف ، أحببنا أن نضرب عنها صفحا ، لعدم صحتها . فلا نوردها . .

٦- قوله تعالى {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً }الفتح١-٢

قد يفهم من الآية صدور الذنب عن النبي ﷺ مما يتعارض مع عصمة الأنبياء،إلا أن أكثر المفسرين على أن المقصود بالذنب هو ما كان خلاف الأولى وترك الأفضل ، فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ،وسمي ذنبا بالنظر إلى مقام النبي ﷺ

---

[1] أحكام القرآن ٣/ ٥٧٦
[2] روح المعاني ٢٢/ ٢٤
[3] التفسير الوسيط ١١/ ٢١٤

يقول أبو السعود: قوله{ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } أي جميعَ ما فرَطَ منك من تـــركِ الأَولى ، وتسميتُه ذنباً بالنظرِ إلى منصبه الجليلِ .[1]

وقيل في الذنب أيضا أن المراد هو ذنب المؤمنين

وقيل الذنب :الصغائر فإنها جائزة على الأنبياء بالسهو والعمد ، يقول الرازي : وهـــي تصونهم عن العجب [2]

٧-قوله تعالى {عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَن جَاءهُ الْأَعْمَى . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى }عبس١-٣

قد يظن من هذه الآية وقوع الذنب من النبي لما تحمله من عتاب من الله له ،إلا أن هذا الظن يزول ، ويدرك المعنى الصحيح لها بعد الوقوف على سبب نزولها

فقد روى الو احدي أن عبد الله بن أم مكتوم – وَهُوَ رَجُلٌ أَعْمَى – أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام وعباس بن عبد المطلب وأبياً وأمية ابني خلف ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم، فقام ابن أم مكتوم وقال: يـــا رسول الله، علمني مما علمك الله، وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنـــه مـــشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه، قال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد، فعبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه وإذا رآه يقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي[3]

فهذه الرواية تدل على أن عتاب الله لنبيه كان لتركه الأولى والأفضل ،وليس فيها مـــا يدل على ارتكاب ذنب أو اقتراف كبيرة ،يقول الرازي :

القائلون بصدور الذنب عن الأنبياء عليهم السلام تمسكوا بهذه الآية وقالوا : لما عاتبـــه الله في ذلك الفعل ، دل على أن ذلك الفعل كان معصية ، وهذا بعيد فإنا قد بينا أن ذلك كان هو الواجب المتعين لا بحسب هذا الاعتبار الواحد ، وهو أنه يوهم تقديم الأغنيـــاء

---

[1] إرشاد العقل السليم ٨٩/٦
[2] التفسير الكبير ٧٨/٢٨
[3] أسباب النزول للو احدي ص ٣٦٥

على الفقراء ، وذلك غير لائق بصلابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإذا كان كذلك ، كان ذلك جارياً مجرى ترك الاحتياط ، وترك الأفضل ، فلم يكن ذلك ذنباً ألبتة .[٤]

٨- الأمر بالاستغفار

ففي القرآن الكريم طائفة من الآيات التي يأمر الله تعالى فيها نبيه الكريم بالاستغفار ، ومن هذه الآيات :

قوله تعالى {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً }النساء١٠٦

وقوله تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ }غافر٥٥

وقوله تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ }محمد١٩

وقوله تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً }النصر٣

وقد يفهم من هذه الآيات أنه تقدح في عصمة النبي ﷺ لأن الأمر بالاستغفار يستوجب وقوع الذنب .

وقد أجاب العلماء على ذلك بوجوه أهمها :

- التعبد بالاستغفار لزيادة الأجر والثواب .

- الاستغفار من الصغائر ،لأنها كالذنوب بالنظر إلى مقامه المحمود فحسنات الأبرار سيئات المقربين .

- يكون المراد واستغفره لذنب أمتك فهو أيضاً ظاهر ، لأنه تعالى أمره بالاستغفار لذنب أمته في قوله : { واستغفر لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات } محمد ١٩ .

- تعليم الأمة للاقتداء به ،لأنه إذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر - قد أمره - سبحانه - بالاستغفار ، فأولى بغيره أن يواظب على ذلك .

---

[٤] التفسير الكبير ٥٦/٣١

وختاما

فإن من يتجرأ على الطعن في عصمة الأنبياء والقدح في مكانتهم والنيل من منزلتهم ،إنما يتجرأ على اصطفاء الله تعالى لهم وتأديبه إياهم وتهذيبه لأخلاقهم حتى صاروا مثلا أعلى وصورة مثلى للكمال الإنساني ،ومن ثم فإن الطعن في عصمة الأنبياء تعدٍ على الله تعالى في اصطفائه وتطاول عليه في اختياره ، وقد أتى صاحبه إثما مبينا وجرما عظيما .

وإن من يتجرأ على عصمة الأنبياء إنما يحاول أن يبحث لنفسه الخبيثة عن مبرر لانحرافاته ومخالفاته ، متذرعا بوقوع المعاصي من الأنبياء والمرسلين ،فإذا كان الأنبياء المصطفون يعصون ويخطأون ، فسواهم أكثر معصية وأشد خطأ ،وهذا هو حال النفوس المريضة والقلوب الحاسدة لأهل الفضل والفضيلة .

وأخيرا فإن من يحاول الإساءة إلى نبي من الأنبياء فإنه لا يسيء إلى ذلك النبي بقدر ما يسيء إلى نفسه وما يدعيه من شعارات زائفة كالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان ، وكان حريا به قبل أن يتهم رمز العفة والطهر ومثال الكمال والرجولة أن يتهم نفسه بالتقصير في فهم سير العظماء الذين كان لهم أكبر الأثر في هداية البشرية وانتشالها من مهاوي الضياع والرذيلة ، ومهما أساءوا إلى المقام الأسمى والجناب الأرقى فإنه مرتفع على أحقادهم ،مترفع على بذاءاتهم ولا تزيده تلك الإساءة إلا سموا وعظمة وشموخا .

المراجع

١- أحكام القرآن لابن العربي تحقيق محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٢م .

٣- أسباب النزول للو احدي النيسابوري تحقيق مصطفى ديب البغا دار ابن كثير الطبعة الأولى ١٤٠٨ ه ١٩٨٨م.

٤-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، دار عالم الفوائد ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٦- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير الإسكندري مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .

٧- البحر المحيط لأبي حيان تحقيق :عادل أحمد عبد الموجود ،وعلي محمد معوض وزكريا التوني ،وأحمد النجولي دار الكتب العلمية الطبعة

٨- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق إبراهيم الترزي،مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ،الطبعة الأولى١٤١٢ه٢٠٠٠م .

٩- التحرير والتنوير لابن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م

١٠- تفسير الفاتحة وثلاث مقالات تفسيرية للشيخ محمد عبده ،مكتبة الآداب

١١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

١٢- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ١٩٨١م

١٣- تفسير المنار للأستاذ محمد رشيد رضا تحقيق إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م .

١٤- التفسير الوسيط د محمد سيد طنطاوي دار المعارف

١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ،تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١٦- جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، دار المعرفة بيروت١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني دار الشعب الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ .

١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ، دار إحياء التراث العربي بيروت

١٩- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ١٩٦٥م .

٢٠- سنن أبي داود ،تحقيق محمد محيي عبد الحميد دار الفكر بيروت

٢١- السنن الكبرى للبيهقي تحقيق محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٢٢-الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق محمد أمين قرة ، وأسامة الرفاعي ، ونور الدين قرة علي ، وعبد الفتاح سيد ، مكتبة الفارابي دمشق

٢٣- صحيح البخاري ، تحقيق د/مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

٢٤- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٦

٢٥- العقائد الإسلامية للشيخ سيد سابق دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ١٩٧٨م .

٢٦- العقيدة الإسلامية د كمال محمد عيسى دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ١٩٨٠م

٢٧- العقيدة الإسلامية وأسسها عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، دار القلم الطبعة الثانية ١٣٢٩هـ١٩٧٩م .

٢٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني

٢٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني ، تحقيق سعيد محمد اللحام دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ -١٩٩٣م

٣٠- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل تحقيق إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى١٤١٦هـ١٩٩٦م

٣١- في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ،دار الشروق الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ١٩٨٢م

٣٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري تحقيق محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى١٤١٥هـ١٩٩٥م

٣٣- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى١٤١٥هـ١٩٩٥م

٣٤- لسان العرب لابن منظور تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق لعبيدي، دار إحياء التراث العربي ،الطبعة الثانية ١٤١٨ه١٩٩٧م.

٣٥- محاسن التأويل للقاسمي ، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

٣٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي تحقيق يوسف علي بديوي،محيي الدين مستو ، دار الكلم الطيب الطبعة الأولى ١٤١٩هـ١٩٩٨م .

٣٧- معالم التنزيل للبغوي ،تحقيق : محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ،دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٣٨- المفردات للأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني ،دار المعرفة بيروت

٣٩- النبوة والأنبياء للأستاذ محمد علي الصابوني،مكتبة الغزالي الطبعة الثانية١٤٠٠هـ١٩٨٠م .

٤٠- النكت والعيون للماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد العظيم، دار الكتب العلمية بيروت